المعاني الرقيقة

على الدرر الدقيقة

للعارف بالله تعالى سيدى الشيخ

صالح الجعفرى

رضى الله تعالى عنه

الناشر : دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى - الدراسة - القاهرة - تليفون ٥٨٩٨٠٢٩

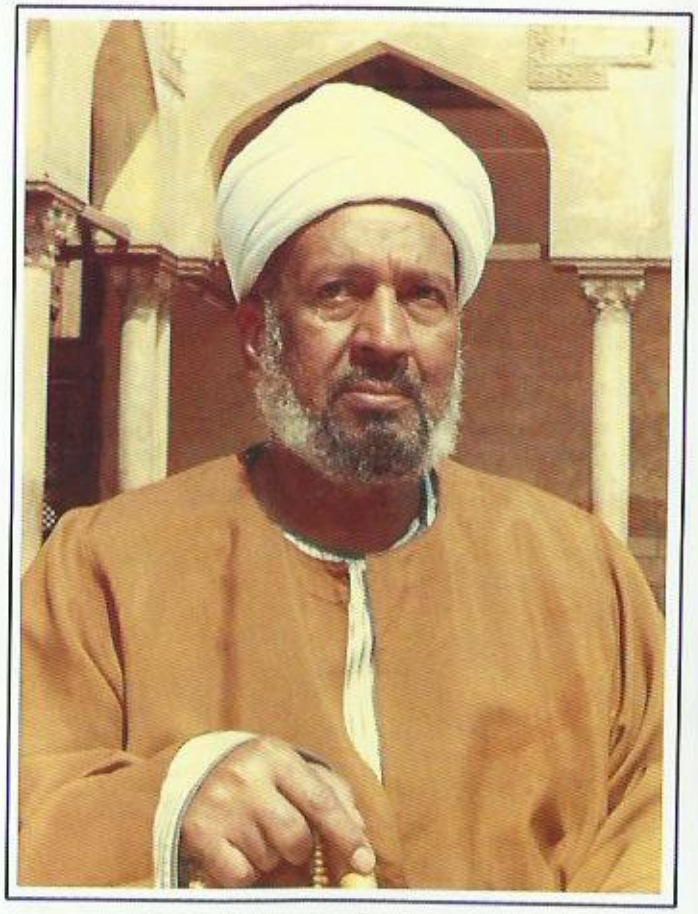

صورة العارف باللّه تعالى الإمام الأزهرى
الشيخ صالح الجعفرى رضى اللّه تعالى عنه
مؤسس الطريقة الجعفرية

صورة سيدى الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية الأحمدية
المحمدية بمصر والعالم الإسلامى

المعاني الرقيقة

على الدرر الدقيقة

للعارف بالله تعالى العالم الأزهري

الشيخ صالح الجعفري

وهو شرح على

الدرر الدقيقة المستخرجة من بحر الحقيقة

لسيدي أحمد بن إدريس

رضي الله تعالى عنهما

الناشر : دار جوامع الكلم

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفري

الدراسة - القاهرة - تليفون ٥٨٩٨٠٢٩

كلمة دار جوامع الكلم

الحمد لله الذى تجلى على قلوب العارفين بالأنوار والأسرار

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد معدن الأنوار ومنبع الأسرار

ورضى الله تعالى عن آله وعترته الأطهار وعن صحبه السادة الأبرار.

وبعد...

فمن فضل الله تعالى على هذه الدار أن جعلها مصدرا وموردا لتراث الإمام الربانى العالم العامل الوارث العارف بالله تعالى شيخنا سيدى صالح الجعفرى، رضى الله عنه وأرضاه، ونفعنا بعلمه وهديه وهداه.

ومن دواعى سرورنا وفرحنا أن نقدم لأحباب الشيخ ولأبنائه المريدين السالكين كتاب (المعانى الرقيقة على الدرر الدقيقة) فى ثوب جديد، وقد ذيل بفهرس ييسر لطالبى الفوائد اقتناص ما فيه من الدرر والأصداف.

وهذا الكتاب يشتمل على فوائد يرخص فى سبيلها كل غال، وحقها أن تطلب بالنفس والنفيس، لأن فيها تنويرا

للبصائر، وحفزا للهمم نحو المفاخر والمآثر، وربما حصل قارؤه على فائدة منها يسلك بها سبلا من الهداية لم تكن على باله، ويدخل بها عوالم لم تكن فى خياله، وبها يصير عبدا ربانيا ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه.

ونسأل الله تعالى أن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعله سببا للهداية والتوفيق إلى أقوم طريق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دار جوامع الكلم

تقديم

الحمد لله الذى عم الخلق برحمته وإحسانه.

نحمده كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد شمس المعارف الإلهية، ومنبع العلوم اللدنية، الذى من عرفه فقد عرف، ومن بحر علومه غرف.

ورضى الله تبارك وتعالى عن آله وعترته أئمة المتقين، وسادات العارفين.

وبعد:

فإن الله تبارك وتعالى منح أولياءه والعارفين به من المعانى الرقيقة أعلاها وأوفاها، ومن دررها الدقيقة أغلاها وأسماها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وهذا الكتاب الذى نقدمه لأهل العلم والعرفان يقوم على ثلاثة أبيات نظمها الشيخ الجنيد شيخ الصوفيه رضى الله عنه، وهى أبيات عبر بها عن صفات العارف فى عبارة لا

يعى مغزاها ولا يفهم فحواها إلا من كان مثله من العارفين، ولما سئل شيخ الطريقة الأحمدية المحمدية سيدى أحمد ابن إدريس رضى الله عنه عن هذه الأبيات شرحها بنفسه العالى، وبما منحه الله من المعانى والعلوم الغوالى.

ثم جاء شيخنا وإمامنا العالم الوارث التقى النقى العارف بالله تعالى سيدى صالح الجعفرى إمام الأزهر، وبدر سمائه الأنور فأدلى بدلوه فى ها المجال ليكتمل وصف الدرر الدقيقة التى صاغها السيد ابن إدريس بتلك المعانى الرقيقة من معدن العلم النفيس، ولولا علمه المستمد من فيض الوهاب، ما برز هذا الكتاب، ولولا ما بثه فيه من المعانى، ما ظهر فى تلك المبانى، ولقد أفاد شيخنا بهذا الشرح فأعظم الفائدة، وأجاد فيما تناول فلم يترك شاردة ولا واردة.

ومما يلمح فى هذا الكتاب الجليل ما اشتمل عليه من تفسير لكثير من آيات القرآن الكريم، وشرح لكثير من الأحاديث الشريفة، وما تناوله فيه من مسائل العقيدة كالمعجزات والكرامات ورؤية الله تعالى، وحلاوة الإيمان وغيرها، ومن مسائل الفقه كاحكام الطهارة وأقسامها وحكم

التقدم على الإمام فى الصلاة، والذكر الجماعى.

وقد عنى رضى الله عنه بالحديث عن الصلاة عناية بليغة فتناولها من جوانب عديدة، ووضع لها منظومة جليلة تتحدث عن أسرارها وما فيها من الفوائد.

كما عنى بصفات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فذكر أنه إمام المخلوقات، وقبلة الروح فى الصلاة، وبين فوائد السلام عليه فى التشهد، وقرر أن من العلم الربانى أن تعرف منزلته وقدره، وأنه حقيقة الكون، وأن له وجهتين وجهة إلى الحق ووجهة إلى الخلق. كما مدحه ومدح آل بيته رضوان الله عليهم.

كما وضح كثيرا من الأمور الخفية كالموت المعنوى، والموت الذى يسبق الحياة بالله، وما للروح من آجال واتصال أو انفصال، ومن ذلك ما فسره من مصطلحات علماء التصوف، كتفسيره للتجلى، والشهود، والسر، والغيب، والغير، والسوى، والكشف، والمزج، والران، والفجر وغيرها، ومنه ما ذكره من إشارات معنوية كالإشارة فى باء الصبر ورائه وفى ميم المعصية.

وقد أفاض رضى الله عنه فى هذا الكتاب فى ذكر صفات

الأولياء والعارفين وأحوالهم ومشاربهم، وفرق بين صفاتهم وصفات غيرهم من المؤمنين، وفسر كثيرا من أشعارهم، كما فسر بعض كلام ابن إدريس رضى الله عنه فى أحزابه مثل: الأستغراق الكلى ـ وسموات الروح ـ وأرض الجسم.

ولما كان رضى الله عنه حريصا على المؤمنين تأسيا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم جاء كتابه مشتملا على كثير من الوصايا للمريدين السالكين كالنهى عن التكاسل فى الطاعات، والتحذير من الهوى والأمر بالإسراع فى أداء الواجبات، والعناية بنوافل الخيرات، والحث على علو الهمة والتمسك بالصبر، والتحذير من طلب الدنيا والإقبال عليها.

ومسك الختام أن نقول: جزى الله شيخنا عن جهاده فى نشر العلوم خير الجزاء، وأفاض علينا من معارفه وأنواره وبركاته إنه سميع مجيب.

سيدى عبد الغنى صالح الجعفرى

شيخ الطريقة الجعفرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله.

الحمد لله المنعم على عباده بموائد لطفه ووداده، والصلاة والسلام على أشرف مخلوقاته، وإمام أنبيائه ورسله فى ساحة تجلياته، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وذرياته، صلاة مصحوبة بأزكى تسليماته.

وبعد:

فيقول العبد الفقير راجى رحمة ربه ومغفرته وعفوه [سيدى الإمام العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ] صالح بن محمد بن العارف بالله تعالى والحافظ لكتاب الله تعالى الشيخ صالح بن محمد الجعفرى [رضى الله تعالى عنه]:

قد اطلعت على الرسالة المسماة (الدرر الدقيقة، المستخرجة من بحر الحقيقة) وهى شرح على أبيات من الشعر نقله بعض الإخوان عن سيدى الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه، فألهمني ربي سبحانه أن أضع شرحًا لطيفًا على تلك الرسالة ليكون موضحًا بعض المعاني العالية للمقصرين أمثالى، وسميته:

(المعانى الرقيقة، على الدرر الدقيقة)

وبالله التوفيق، وهو حسبى ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه عن معنى هذه الأبيات:

﴿توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سرّ
وإلا تيمّم بالصعيد وبالصخر﴾
﴿وقدم إماما كنت أنت أمامه
وصلّ صلاة الفجر فى أوّل العصر﴾
﴿فهذى صلاة العارفين بربّهم
فإن كنت منهم فانضح البرّ بالبحر﴾

فقال رضي الله تعالى عنه: هذه الأبيات للشيخ الجنيد رضي الله تعالى عنه، ثم قال: ﴿توضأ بماء الغيب﴾

معناه:

تطهر بطهارة التجلى الإلهى؛ لأن الماء متجل فيه [1] الحق باسمه المحيي فلذلك يجد المتوضيء أثر الحياة عاجلاً من النشاط في أعضائه، فهو يقول: كن حيًّا بحياة الله، فإن الغيب هو الله تعالى، لكونه عند أكثر الخلق غيبًا لا يشهدونه، ومن شهده منهم فلا إحاطة عنده (ولا يحيطون به علمًا) فهو غيب أيضًا، والكل غائب عنه، وهو من باب: الحج عرفة، فإن كل شيء غائب يطلق عليه غيب.

(١) فيه: لعل العبارة عليه.

التجلى الإلهى

الشرح ـ قال: [سيدى الإمام العارف بالله تعالى الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين] [1]: ـ لم يذكر التجلي فى القرآن إلا مرة واحدة قال تعالى: ﴿فلمّا تجلّى ربُّه للجبل جعله دكًا وخرَّ موسى صعقًا﴾ [2] وقد أشار إلى ذلك السيد أحمد بن إدريس رضي الله تعالى عنه فى الأحزاب بقوله: وقد صار الجبل وهو من الصم الرواسى الشامخات دكا، وخر موسى وهو من كبراء خواص أصحاب الوحى صعقا من ظهور قدر أنملة الخنصر من نورك كما أعلمتنا بذلك فى الوحى الإلهى بقولك: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾.

تجلى الحق فى الماء ليس كتجليه للجبل

قال راجى عفو مولاه [سلطان العارفين وقدوة المحققين سيدى القطب الربانى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تبارك وتعالى عنه]: إذا علمت ذلك فاعلم أن قوله: تجلى فى الماء، ليس كتجليه للجبل وإلا لما رأيت ماء موجودًا، ولكن المراد بالتجلى هنا تجلى الإمداد أى: أمد الله تعالى الماء بمظهر من مظاهر اسمه المحيى فصار الماء يحيى بهذا الإمداد، والإحياء: إما حسى كما فى الحيوان والنبات،

(١) ما بين قوسين هكذا [...] زيادة على الأصل اقتضاها الأدب مع الشيخ رضى الله تعالى عنه.
(٢) الأعراف / ١٤٣.

و إما معنوى وهو ما يحصل من نشاط وانتعاش فى الأبدان عند استعمال الماء .

وقد أشار ابن الفارض رضى الله تعالى عنه إلى هذا المعنى بقوله :

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميِّت

لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

أشار إلى أن مدامة العارفين تجلى عليها الحق باسمه المحيى أى : أمدها بمظهر من مظاهره .

ومن هذا القبيل ظهرت المعجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام والكرامات للأولياء رضى الله تبارك وتعالى عنهم .

تجلى الحق على عباده الصالحين

ولما تجلى الحق سبحانه باسميه القوى والسريع على الذى عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا استطاع إحضار عرش بلقيس فى أقل من طرفة عين .

وهكذا يا أخانا كلما صرت مظهرًا لاسم من الأسماء انقاد لك ما شئت من الأشياء ؛ لأنك صرت بريئًا عن حولك وقوتك ، وأعمالك تحصل بحسب نيتك ، فأنت تنوى والفعال غيث قدرته همى : ﴿**وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى**﴾ (١) .

وهذه صفات العارفين الذين طهروا أنفسهم بماء الغيب من

---

(١) الأنفال / ١٧ .

الأرجاس والزلل ، فأسمع أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سارية بن زنيم صوته من مسيرة شهر بقوله : يا سارية الجبل الجبل ، من ترك الحزم ذل ، واستطاع سارية أن يسمع لأن التجلى كان للاثنين .

كما وقع تجلى السكينة ﴿**إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين**﴾ (١) .

كما حصل تجلى الأمن من الحق سبحانه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بلا واسطة وللصديق رضي الله تعالى عنه بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنَّ الله معنا**﴾ (١) .

والتجلى بالثبات لطلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه يوم أحد حينما وضع النبى صلى الله عليه وآله وسلم قدميه الشريفتين على ظهره ثم قال : (**وجبت يا طلحة. قال: ما هى يا رسول الله؟ قال الجنة**).

والتجلى بالثبات لعكاشة رضى الله تعالى عنه حينما أعطاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم عرجونا فصار سيفًا ، فلولا التجلى الإلهى بالثبات لعكاشة لما استطاع حمل هذا السيف ولا الضرب به .

وكذلك تجلى الحق سبحانه بالثبات على سيدنا علىّ كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه يوم الفتح حينما وضع قدميه على كتفى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عند الكعبة لإنزال صنم خزاعة من فوقها .

---

(١) التوبة / ٤٠ .

(لطيفة) قال الشيخ الألوسى رحمه الله تعالى : دخلت فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها داخل الكعبة فأجاءها المخاض فوضعت ابنها عليًا فأكرمه الله تعالى بوضعه داخل الكعبة وأكرمه بإنزال الصنم من على ظهر الكعبة .

وقد أشار الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه إلى ذلك بقوله :

يـــاربِّ بـــالقـــدم التى أوطأتهـــا

من قـــاب قـــوسين المحلَّ الأعظمـــا

وبحـــرمـــة القـــدم التى جعلت لهـــا

كتف المـــؤيَّـــد بـــالـــرســـالـــة سُلَّمـــا

ثبت على متن الصـــراط تكـــرُّمـــا

قـــدمى وكن لى محسنـــا ومكـــرِّمـــا

واجعلهمـــا ذخـــرًا فمن كـــانـــا لـــه

أمـن العـــذاب ولا يخـــاف جهنَّمـــا

وأيضًا تجلى الحق سبحانه على سيدنا علىّ كرم الله وجهه باسمه القوى ، فخلع باب خيبر بيده اليمنى بعد أن أعجز الجيش خلعه ، فلما رأوا ذلك كبروا جميعًا لذلك المظهر العجيب .

وقد أخرج البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا إذا مشوا فى الظلام أضاء لهم

نور يمشون به ، فإن تفرقوا تفرق النور معهم ، وهذا مظهر من مظاهر تجلى اسمه النور ، وهكذا مظاهر التجليات لا تنحصر .

وكان تجلى الواسطة بين العلمين الصبر للاثنين ، فصبَر سيدنا موسى عليه السلام حتى وصل إلى ثلاث مسائل مختلفة ، وصبر سيدنا الخضر عليه السلام حتى كَشف له عنها .

وكان التجلى الإلهى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقوة التى يعجز عنها العالم أجمع حينما ضمه سيدنا جبريل عليه السلام بالقوة الملكية التى من علامات نبوته صلى الله عليه وآله وسلم أنه يتحملها (**فضمنى حتى بلغ منى الجهد**) وكذلك ثباته صلى الله عليه وآله وسلم عند تنزل الوحى بالطريق الخارق للعادة .

ولما كان القلب المحمدى مظهر التجلى بالقوَّة والثبات كان مهبط الوحى ﴿**نزل به الروح الأمين * على قلبك**﴾ (١) فكان الجالسون لا يسمعون الوحى ولو سمعوا لصعقوا ؛ لأن الحق سبحانه لم يتجل عليهم بالقوة الإلهية التى تؤهلهم لسماع الوحى الإلهى ، ثم بعد ذلك يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حسب استعدادهم الفطري واستعدادهم الإيمانى .

واعلم يا عبد الله ـ أكرمنى الله وإياك بتجلى المعرفة ـ أن سماع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس كسماعه من غيره ،

(١) الشعراء / ١٩٣ ، ١٩٤ .

بل هو سماع خاص محاط بخصوصياته النبوية ونظراته المحمدية، فالنظر إلى وجه النبى صلى الله عليه وآله وسلم له خصوصية، وسماع صوته صلى الله عليه وآله وسلم له خصوصية، والجلوس بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم له خصوصية.

ومن أجل ذلك: نال الصحابة جميعًا رضى الله تعالى عنهم رتبة الاجتهاد والقدوة الحسنة، قال عليه الصلاة والسلام: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ولما كان صلى الله عليه وآله وسلم شمس الشريعة وقمر الحقيقة كان أصحابه نجوم الاهتداء، قال عليه الصلاة والسلام: «**خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

ومن أجل ذلك تزاحمت الأنوار والبركات والفيوضات على الأولياء الذين رأوه صلى الله عليه وآله وسلم بعد مماته يقظة وسمعوا منه وجلسوا بين يديه، وكان لهم القدم الراسخ فى التمسك بالكتاب والسنة كسيدى أحمد بن إدريس وتلميذه سيدى محمد بن على السنوسى رضى الله تعالى عنهما حيث أخبرا بذلك، ووجد لهما كلام في مؤلفاتهما يدل صراحة على ذلك.

وأنواع التجليات كثيرة متنوعة، وقد ذكر منها شيخنا الشفاء صاحب العلم النفيس مولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى أحزابه ثلاثًا وخمسين تجليًا وهى: تجلى سر القيومية الإلهية، وتجلى مقام الاستواء، وتجلى العظمة الجامعة، تجليات

الألوهية، التجليات الإلهية الواحدية، التجليات الإلهية الملكية، تجليات الربوبية، التجليات الإلهية القدرتية، التجليات الإلهية الفطرية، التجليات الإلهية البدئية والإعادية، التجليات الإلهية الإحاطية، التجليات الإلهية الولائية، تجليات الهوية الإلهية، تجليات جلال الوجه الإلهى، التجليات الإلهية الأحدية الصمدية، تجلى عيون بصائر القرآن الإلهى، وجوه تجليات الاسم الله، تجلى توحيد الذات المطلسم، تجلى عظمة الذات، تجلى أسرار الكتاب المكنون الإلهى، تجلى اسم الذات، تجلى الحقائق الذاتية الإلهية الكمالية، تجلى الاسم العليم، تجلى حقائق معارف الأنبياء والمرسلين، تجلى الذات القوّتية، تجلى النور الأعظم، تجلى غيب الهوية الإلهية الإطلاقية الإحاطية، تجلى الكبرياء الذاتى، تجلى الكلام الإلهى، تجلى عين العين، تجلى مقام الإحسان، تجلى عين بحر المحبة الذاتية الإلهية، تجلى العافية الكاملة، التجلى بقوة ذاتية للتحمل، التجلى بالجلال والجمال والكمال والعظمة والكبرياء والنور والبهاء.

التجلى الأعظم الإحاطى، التجلى بحلاوة الإيمان، ولذة التقوى، التجلى بالاسم العظيم الأعظم، التجلى بالاسم النور الإلهى، التجلى بسلطنة الألوهية، التجلى بالرحموت الأعظم، التجلى بالرهبوت الأكبر، التجلى بالرغبوت الأنور، التجلى بكنوز المعارف الذاتية، التجلى بمقام الحياء، التجلى بعلوم النواميس القرآنية، التجلى بالحقائق الكنهية الذاتية الإلهية، التجلى بسر توحيد الأنانية المصون،

التجلى الأعم الإلهى الإحاطى، التجلى بالعين الحقّية الإلهية، التجلى بسطوات الألوهية.

وختام التجليات: اللهم تجل لى بذاتك حتى تسرى فى ذاتى لذة الألوهية ... الخ.

ظهور أثر التجلى على الأشباح

قال [سلطان المحبين وسراج الوصلين سيدى الغوث الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين]: وموضع التجلى الأرواح، وقد يظهر على الأشباح أثره كبكاء صاحب تجلى القبض، وضحك صاحب تجلى البسط، وعلم صاحب تجلى العلم، وكرم صاحب تجلى الكرم، وعزلة صاحب تجلى الأنس بالله. وهكذا إلى منتهى التجليات.

فالمتجلّى خفى، والتجلّى خفى، والمتجلّى به خفى والروح المتجلى عليه خفى، وبينهم تعارف قديم، فتلك الخفيات قديمة باقية ﴿**وإذ أخذ ربُّك من بنى آدم من ظهورهم ذرِّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى**﴾ (١).

واعلم يا أخانا ثم اعلم ما سيلقى عليك: لتعلم أن الحشر حشران لجميع العباد، فالحشر الأول: حشرهم يوم أن قال لهم الحق سبحانه: ﴿**ألست بربكم**﴾ والحشر الثاني: يوم يقول لهم: ﴿**ولقد جئتمونا**

(١) الأعراف / ١٧٢.

فرادي كما خلقناكم أول مرة﴾ (١) فالذى حشرهم أول مرة وأشهدهم على أنفسهم وأسمعهم خطابه قادر على أن يحشرهم مرة ثانية، وأن يُسمعهم خطابه كما أسمعهم أول مرة.

فائدة: التجلى الأول كان مصحوبًا بالمشاهدة والسماع والإجابة فقال سبحانه: ﴿**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم ترحمون**﴾ (٢) أى فاستمعوا له بآذانكم مشاهدين لربكم ببصائر قلوبكم لعلكم ترحمون بالتذكار، فالمشاهدة تذكر المشاهدة، والسماع يذكر السماع، قال ذو النون المصرى رحمه الله: كأنه فى أذنى الآن، يعنى السماع الإلهى القديم يوم أن قال سبحانه لعباده: ﴿**ألست بربكم**﴾.

فالمعرفة قديمة وهى حق، والإنكار حادث وهو باطل، فإذا التقيا زهق الباطل وبقى الحق ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾ (٣) فيلزم من قول العباد فى الأزل: (بلى) أن يكونوا طائعين لربهم، لأن الاعتراف بالربوبية يستلزم طاعة الرب سبحانه، فالطاعة حق والمعصية باطل، واستلزام الطاعة سابق، واختيار المعصية لاحق، والحق يزهق الباطل، فمن أقبل على الطاعات زهقت معاصيه لأحقية الطاعة وبطلان المعصية.

ومن اختار المعصية فقد اختار اللاحق، وأصل الاختيار يكون

(١) الأنعام / ٩٤.
(٢) الأعراف / ٢٠٤.
(٣) الإسراء / ٨١.

للسابق، ولهذه النكتة المهمة يفرح الطائع بطاعته لأنه اختار السابق ووضع الشيء في موضعه ﴿فبذلك فليفرحوا﴾[1] ويندم فاعل المعصية لأنه اختار اللاحق، ووضع الشيء في غير موضعه، ولم يكن موفيا لاستلزامه السابق.

فالمعصية: ميمها مرارتها عند الروح المؤمن، فالمعاصي ليست مرتعا للأرواح، وإنما هي مرتع للنفوس الأمارة المظلمة.

قال: ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلق الذكر**».

وهذا الحديث أول ما سمعته عن شيخي العارف بالله تعالى السيد محمد الشريف بن العارف بالله تعالى السيد عبد العالي بن العارف بالله تعالى سيدي ومولاي الشريف السيد أحمد بن إدريس ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ قال السيد محمد الشريف ـ رضي الله تعالى عنه ـ: يؤخذ من هذا الحديث استحباب الاجتماع في حلق الذكر وأن العارفين يتلذذون بذكر الله تعالى كما يتلذذ أهل الجنة بنعيمها. اهـ.

(شرح كلام السيد محمد الشريف ـ رضي الله تعالى عنه ـ) يقول: إن الاجتماع في حلق الذكر سنة وليس بدعة كما يدعيه المدعون؛ لورود حلق الذكر في الحديث، وقد فعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ذلك وأقرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح مسلم.

---

(١) سورة يونس: ٥٨

وأما تلذذهم بالذكر فلأسباب:

أولها: فناء ما سوى الله ـ تعالى ـ عن عين البصيرة حتى نفسه، ولذلك كان السيد كثيرًا ما يقول وهو في الذكر: (أفن نفسك يا ذاكر) ولقد ذكرت معه كثيرًا والحمد لله، وفناء الأغيار يورث الأنوار، وهي بمنزلة الذوق اللساني للقلب.

الشيء الثاني: مشاهدة الحق سبحانه مشاهدة منزهة عن الكيفيات خارجة عن المعقولات حتى يظهر أثر المشاهدة للروح، وهو بمنزلة نعيم الجنة، ولا يفضله إلا الرؤية الإلهية كما قال صاحب بدء الأمالي رحمه الله في وصف أهل الجنة عند رؤية الحق سبحانه:

فينسون النعيم إذا رأوه
فيا خسران أهل الاعتزال

والمعنى: ينسون نعيم الجنة لنعيم الرؤية الإلهية، كذلك العارفون في الدنيا ينسون نعيم الدنيا لما يجدونه في قلوبهم وأرواحهم من التلذذ بمشاهدة الحق ـ سبحانه وتعالى ـ، كما قال سيدي عبد الله المحجوب الميرغني ـ رضي الله تعالى عنه ـ:

وشاهد الذكر مع المذكور
وغِب عن الجنان والقصور

والسيد عبد الله المحجوب الميرغنى من العلماء والأولياء الواصلين.

نقل الجبرتي فى تاريخه عن الشريف الرضى تلميذ السيد المحجوب قال: دخلت على السيد المحجوب ذات يوم وسألته عن نسبه، ففتح صندوقًا وأخرج لى منه نسبه الشريف، فقلت له: وأين أسانيد الأحاديث النبوية؟ فقال لى: (عنى عنه صلى الله عليه وآله وسلم) فعلمت أنه فى مقام الاتصال المحمدى اهـ.

قلت: (١) وهذا الكلام الذى نقله الشريف الرضى ــ رحمه الله تعالى ــ يؤيد ما كتبه سيدى أحمد بن إدريس فى رسالته المسماة بالجواهر من أنه تلقى أوراده جميعها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقظة، وقد صرح السيد أحمد ـ رضى الله تعالى عنه ـ بأن (كل من أخذ طريقه سينال حظًا وافرا من الاجتماع به صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ومنامًا) وإن شئت فاقرأ قوله:

(واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرًا وباطنًا يقظة ومنامًا)

وكلام السيد محمد الشريف ـ رضى الله تعالى عنه ـ يفيد أن التلذذ بالذكر شىء عظيم.

إسمع يا أخانا ثم أنصت بقلبك إلى كلامنا هذا: إن العارف بالله إذا ذكر الله تعالى تلذذت روحه وجسده وشعره، وهو يشعر بذلك، وهو

(١) متى وردت كلمة (قلت) فى هذا الكتاب فالمقصود منها هو سيدى الشيخ صالح الجعفرى ـ رضى الله عنه ـ.

فى هذه الحالة لا تحرقه النار؛ لأنه فى حضرة اتصال يقلب له جميع المضار نفعًا ﴿قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم﴾ (١).

﴿بردًا﴾ لأنه فى حالة تقلب الأذى نفعًا ﴿وسلامًا﴾ عن أن يشغله هذا البرد عن التلذذ الروحانى بذكر الحق ـ سبحانه ـ، قال ــ عليه الصلاة والسلام ـ: (حسبى الله ونعم الوكيل كلمة أخى إبراهيم حين ألقى فى النار) فالمشاهد يتلذذ بنظره نظر الغيبة عن نفسه لا عن المشاهَد كما قال العارف:

ظهرتم بأوصاف الكمال لناظرى

فغبت وعنكم لا تغيب سرائرى

وكذلك سمعه فى لذة الشهود، كما قال العارف:

فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوى

وإنى منكم لا من الطير سامع

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾ (٢) تؤتى أكلها الطيب اللذيذ كل حين منها لها على وفق المشاهدة من المشاهد والتجلى من المتجلى، فيجتمعان فى روح واحدة، شهود تجلى:

وسركم فى ضميرى

والقلب طور التجلى

(١) الأنبياء: ٦٩. (٢) إبراهيم: ٢٤، ٢٥.

وسركم : شهودى لكم الـذى به يحصل التجلى لى منكم ، ثم تؤتى شجرة إيمانى أكلها كل حين لروحى بإذن ربها .

﴿وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت﴾[1] كذا أرض الجسم التركيبى بعد نفخ صور التجلى ، تتخلى النفس عن كل شىء سوى الحق ، جالسة على كرسى المشاهدة ، ناظرة بقلبها إلى ربها مفتحة أبواب علوها ، نازلة عليها منها عيون وارداتها الصارفة لها عما سوى الحق من جميع الوجوه . انتهى شرح كلام السيد الشريف .

الشرح قوله رضى الله تعالى عنه :

فلذلك يجد المتوضىء أثر الحياة عاجلاً من النشاط فى أعضائه

من بيانية وما بعدها بيان لقوله : أثر الحياة ، لأن الحركة والنشاط والقوة من صفات الحى لا الميت .

والحكمة فى وجود المتوضىء النشاط أمران :

الأول : ما ذكره السيد رضى الله تعالى عنه من قوله : إن الحق متجل على الماء باسمه المحيى .

والأمر الثانى : شعور الروح بدنو لقاء الحبيب لأن الوضوء كالبشرى

(١) الانشقاق : ٣ ، ٤ ، ٥ .

باللقاء ، كمن كان فى كسل وخمول وقيل له : إن والدك بالباب يريد أن يتحدث معك . فهذه المقالة تحدث به نشاطًا فى الحال .

تجلى الحق على الماء وعلى الروح

وهناك أمر ثالث وهو أهم : توجه الروح عند الوضوء إلى لقاء الحق سبحانه ، وبه تحدث مبادىء التجلى الإلهى الذى ينعش الروح بعد إكمالها الوضوء أو الغسل ، وحينئذ يجتمع تجليان : تجلى الحق على الماء ، وتجليه ـ سبحانه ـ على الروح .

والمناجاة الإلهية فى الصلاة تحتاج إلى روح وجسد ، وقد أعد تجليه على الماء الجسد عند استعماله للماء ، كما أعد تجليه على الروح الروح عند توجهها إليه .

وبهذين التجليين يدخل المصلى فى حضرة لا إدراك وهى : الله أكبر ، وفى حضرة إدراك وهى : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، ثم يدخل بهما الحضرتين الالهية والنبوية ، فالأولى : مظهر قولك : لا إله إلا الله . والثانية : مظهر قولك : محمد رسول الله .

ثم يدخل بهما حضرتى القرآن : الظاهرة فيظهر على جوارحه جميعها العمل بكتاب ربه ـ سبحانه ـ فى جميع حركاته وسكناته وأنفاسه كلها من جميع الوجوه .

ويدخل فى حضرة القرآن الباطنة حتى تكون روحه روحًا قرآنية صرفا فى جميع الوجوه ، فللظاهر قوله تعالى : ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك**﴾ (١)

(١) الزخرف : ٤٤ .

وللباطن قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (١) فالذكر للسان والجوارح، والروح للروح، ولقد قيل لشيخنا الشريف السيد أحمد بن إدريس ــ رضى الله تعالى عنه ـ فى آخره أمره: (لا شيخ لك إلا القران).

وقولــه: فهو يقـول:

كن حيا بحيـاة الله

الشرح: الحيـاة كلهـا لله، فمـا معنى حيـاة الله؟ فـالإضـافـة على الـلام، أي: حياة لله، وعلى تقـدير صفـة أى حيـاة محبوبـة لله، وهى الحياة الطيبـة التى أشار إليها الحق ــ سبحانـه وتعالى ـ بقـوله: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّه حياة طيبة﴾ (٢) فيكون المعنى: اعمل بشـرع الله تعالى لتحيى بـالحيـاة الطيبة التى يحبهـا الله تعالى ويرضاها قال ـ تعالى ـ: ﴿أو من كان ميْتًا فأحييناه﴾ (٣).

اعلم يا عبـد الله أن الموت موتـان: موت يحصل بخـروج الروح من الجسد وهو الأكبر، وموت يحصل بالنوم وهو الأصغر، كذلك الموت

(١) الشورى: ٥٢. (٢) النحل: ٩٧.
(٣) الأنعام: ١٢٢.

المعنوى قسمان: موت أكبر، وهو الذى يحصل للكافر بسبب الكفر، وموت أصغـر: وهو الذى يحصل للمسلم بسبب المعـاصى، فإحياء الكافر من موت كفره بالإسلام، وإحياء المسلم من موت معاصيه يكون بـالتوبـة والأعمال الصـالحـة، فالـولى الصـالح إذا صار حيـا بالله لـه وصفـان: الأول فى قولـه ــ تعالى ــ: ﴿وجعلنا له نـورا يمشى بـه فى الناس﴾ (١) والثانـى: فى قولـه ـ تعالـى ـ: ﴿لهم البشرى فـى الحياة الدنيا﴾ (٢).

والنور الأول يكشـف للولى عن نفسـه لنفسه، وعن نفسـه للناس، والبشرى من ربـه لنفسه ليطمئن قلبـه، قال ـ تعـالى ـ ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾ (٣) وبشـرى أيضًـا لإخوانـه وأحبـابـه، قال ــ تعـالى ـ: ﴿فبشر عباد﴾ (٤).

قال سيدى عبد الغنى النابلسى رضى الله تعالى عنه:

إن تكـن بـــــالله قـــــائم
لـم تكـن بـل أنـت هـــــو
أنـت ســـــر الغيـب مـن
أسمـــــائه والشمس هـــــو

(١) الأنعام: ١٢٢. (٢) يونس: ٦٤.
(٣) البقرة: ٢٦٠. (٤) الزمر: ١٧.

ومعنى هذين البيتين : إن تكن حيا بالله لم تكن حيا بغيره ولا بنفسك ، فلذلك لا يميل قلبك إلا لما جاء به شرع نبيك صلى الله عليه وآله وسلم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**) .

وهذا معنى قوله : (بل أنت هو) يعنى رغبتك لا تخالف ما يحبه الحق ـ سبحانه ـ ويرضاه متلاشية رغبة هويتك لما يريده منك هو ـ سبحانه وتعالى ـ (بل أنت هو) مريد لما يريد هو ، لا لما تريد أنت أو غيره فلا إرادة لك فى سواه ، ولا فى غير ما يحبه ويرضاه ، ولا فى أحد سواه . وقوله (أنت سر الغيب من أسمائه) أى : مظهر فى عالم الظهور لعالم الغيب وهى الأسماء الإلهية فالحى غيب وأنت مظهره ، فإذا كنت مظهرًا له فكيف تكون حيا بغيره؟ ! بل أنت حى بالله الحى .

وهذا معنى قول الشريف ابن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ : (كن حيا بحياة الله) أى اعتقد بأنك مظهر وأثر لصفة الحياة الربانية .

وقول السيد النابلسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ : (والشمس هو) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**الله نور السمٰوات والأرض**﴾ [1] فلولا النور لما ظهر شىء لك ولا لغيرك ، والظاهر ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى أظهرك بشمس الوجود لك ولغيرك ﴿ **فمحونا آية الليل** ﴾ أى العدم ﴿**وجعلنا آية النهار مبصرة**﴾ [2] أى : الوجود ، فالعدم لا تهدى به العقول إلى

(١) النور: ٣٥ . (٢) الإسراء: ١٢ .

شىء ، والوجود تهتدى به إلى رب الوجود ، فالوجود دليل قطعى على الموجد ﴿ **ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً** ﴾ [1] .

وقد يراد بهذه الشمس ما هو أعم من شمس السماء كما أشار إلى ذلك السيد النابلسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ فيما تقدم .

ثم اعلم أن الحياة بالله تحتاج إلى موت يسبقها كحياة الشهيد فإنها توهب لصاحبها بعد موت قبلها ، كذلك العارفون يكونون أحياء بالله بعد موتهم فى حب الله .

قال ابن الفارض ـ رضى الله تعالى عنه ـ : (فالموت فيه حياتى) أى : فالموت فى حب الله فيه حياتى بالله ، وحياة الحب فى منتهى الرقى والقرب . قال الشريف السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ : (فأذوب فيه ولوعا وعشقا) أى فى حب الله لأحيا فيه بالله تعالى . وهكذا يخبر العارفون عن أحوالهم .

ومما سمعته عن شيخى العارف بالله ـ تعالى ـ السيد محمد الشريف هذه الأبيات لسيدى عبد الكريم الجيلى رضى الله تعالى عنهما :

خلع العذار متيَّم الأحشاء

فعلى الحياة تحيَّة من نائي

(١) الفرقان: ٤٥ .

لله درُّك يـــا زمـــان صبـــابتى

دُم لى ففيك مجـــامع الأهـــواء

يـــا راحلين وفى الفـــؤاد رحيلهم

والقـــاطنين وربعُهم أحشـــائى

(الله . الله . دم لى ففيك مجامع الأهواء) هذه الجملة كان يكررها شيخنا السيد الشريف ـ رضى الله تعالى عنه ـ كثيرًا فى الذكر عند سماعه لها .

وقد أشار سيدى الغوث أبو مدين ـ رضى الله تعالى عنه ـ إلى نوع من أنواع الحياة بالله تعالى بقوله :

تضيق بنـــا الـــدنيـــا إذا غبتمـــو عنـــا

وتـــزهق بـــالأشـــواق أرواحنـــا منـــا

فبعـــدكمـــو مـــوت وقـــربكمـــو حيـــا

ولـــو غبتمـــو عنـــا ولـــو نفسـا متنـــا

فجعل القرب لله هو الحياة بالله ، ومن صار حيًا بالله ذكر اسمه ـ تعالى ـ الحى ، ومن ذكر الحى ذكر القيوم ، لأن الحياة تحتاج إلى قوام من القيوم ، فصار حيا بالله مستغنيا عن كل حى سواه ، قائمًا بالقيوم مستغنيًا عن كل مقوم سواه .

وإلى هذا المقام أشار سيدى الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ بقوله : (وتجل لى يا إلهى بسر القيومية

الإلهية التى قامت بها شيئيّات الأشياء كلها سر قيوميتك الإلهية المودع في قولك : الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾[1] الخ آية الكرسى .

قلت : ويحصل للعارف فى هذا التجلى الاستغناء عن كليات العالم وجزئياته ظاهرا وباطنابالحى القيوم .

قال السيد محمد اليمانى لوالده الشريف السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ باليمن وكان صغيرًا إذ ذاك : (يا أبت نفذ الحبُّ ، آتنا بالحب ، قال له والده : يا بنى ، إن والدك لا يملك الحب ، قل : يارب الحب آتنا بالحب . فصار يرفع يديه إلى السماء عند باب المنزل ويقول : يا رب الحب أتنا بالحب . فما مضت أيام قلائل حتى جاءت الجمال تحمل القمح والأرز وخيرات الله ـ تعالى ـ) اهـ .

حال أهل التجريد مع رب العبيد

وهكذا حال أهل التجريد مع رب العبيد كلما دعوه لباهم ، وكلما سألوه أعطاهم ، تمر عليهم الأيام والليالي ، الرجل منهم بغير ربه لا يبالى ، خدموا مليكهم فخدمتهم الملوك ، ليس فيهم فى الدنيا فقير ولا صعلوك ، تذللوا لله فذلل لهم الصعاب ، وفتح لهم من الخير كل باب

فالأبواب مفتوحة لهم من غير مفتاح ، يدخلونها بسلام فى مجمع الأرواح .

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .

الدنيا لديهم صاغرة، والآخرة لديهم ماثلة حاضرة .

شربوا على ذكر ربهم صافى الشراب، فصارت الدنيا تمر أمامهم مر السحاب .

رأوها فعرفوها زائلة فعرفتهم، فأقبلت عليهم بعد إعراضهم عنها فخدمتهم، فهى تتشرف بخدمتهم إذاهم رأوا العار فى خدمتها، وهى تفر إليهم لعلو قدرهم إذا هم فروا منها لخستها .

لبسوا لفتنتها الدروع، وتحصنوا من غوائلها بالخشوع .

أمدهم الله بجنوده فما ضعفوا وما استكانوا، ولحبهم لربهم أعلنوا ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ (١) قال سيدى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه :

أيقظان أنت اليومَ أم أنت نائم

وكيف يطيق النوم ولهان هائم

فلو كنت يقظان الغداة لحرَّقت

جفونا لعينيك الدموع السواجم

نهارك يا مغرور لهو وغفلة

وليلك نوم والردى لك لازم

---

(١) الأنفال : ١٢ .

وتشغل فيما سوف تكره غبَّه

كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

قوله :

فإن الغيب هو الله ـ تعالى ـ لكونه عند أكثر الخلق غيبا لا يشهدونه ، ومن شهده منهم فلا إحاطة عنده ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾ (١) فهو غيب أيضًا والكل غائب عنه، وهو من باب : الحج عرفة، فإن كل شىء غائب يطلق عليه غيب .

الغيب وأنواعه

قلت : قال القرطبى ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالى : ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ (٢) الغيب : ما غاب عنا . قال الشاعر:

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا

يصلون للأوثان قبل محمد ا هـ

قال راجى رحمة مولاه ومغفرته [سيدى سراج الواصلين وقدوة

---

(١) طه : ١١٠ .

(٢) البقرة : ٣ .

المهتدين الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه]: نعم. الغيب هو ما غاب عنا، وينقسم إلى قسمين:

الأول: غيب حقيقى وهو الذى لا يعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويدخل فيه الحق ـ سبحانه وتعالى ـ.

والثانى: غيب إضافى وهو الذى يكون لبعض الخلق شهادة وللبعض الآخر غيبًا، فما وراء السماء الدنيا غيب بالنسبة لنا شهادة بالنسبة لسكانها، والكعبة غيب لمن كان بالهند مثلا شهادة بالنسبة للطائفين بها، وإذا دخل عليك إنسان وفى جيبه مائة دينار وأنت لا تعلم فهى بالنسبة إليك غيب وبالنسبة إليه شهادة، وهذا الغيب الإضافى ينقسم إلى قسمين: إلى ممكن الوصول إليه كالكعبة والدنانير وغير ذلك، وإلى غير ممكن كالوصول إلى السماء وسكانها والجنة والنار وغير ذلك، والقسم الممكن الوصول إليه قد يدرك بالأسباب العادية المتعارفة كأن يسافر إلى الكعبة، أو يدخل يده إلى جيب صاحب الدنانير ثم يخرجها فيعدها ويعرفها، أو يكشف له وهو فى بلده فيرى الكعبة، أو يكشف له عن عدد الدنانير، أو يكشف له أيضًا عن الغيب الذى لا وصول إليه بطريق العادة.

وهذا الذى جاء عن طريق الكشف يسمى عند علماء التوحيد الأمر الخارق للعادة المسمى عندهم بالكرامة يظهر على يد شخص عامل

بالكتاب والسنة، والكرامة أمر مجمع عليه عند جميع الأمم على اختلاف أديانهم.

وقد أخبر الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن الكرامات ستبقى فى هذه الأمة إلى يوم القيامة، ذكر ذلك فى الرسالة الدمشقية ا هـ ومن أراد أن يطلع على العجائب والغرائب فليقرأ كتاب (جامع كرامات الأولياء) للشيخ النبهانى ـ رحمه الله ـ.

ومن الغيب الوحى عند نزوله على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فإن الصحابة لا يرون سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ ولا يسمعون الوحى، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يسمع ويرى، فهو عنده صلى الله عليه وآله وسلم من عالم المشاهدة، وعند الصحابة رضى الله تعالى عنهم من عالم الغيب، وكذلك يومك الذى يأتى فى غد هو من عالم الغيب، فإذا جاء صار من عالم المشاهدة، وهكذا أيامك والظروف من الأزمنة والأمكنة مظاهر للغيب الذى يمكن إبرازه، وكذلك جسدك حينما كان فى بطن أمك كان غيبا ثم ظهر وسيغيب تحت التراب، وكل جسم إنسانى يحمل غيبين: الروح وهى لا يمكن إظهارها بحال من الأحوال، والخواطر القلبية وهى يمكن إظهارها فى قوالب الألفاظ المعبرة عنها.

ومن الغيب ما هو معدوم كالأشياء قبل خلقها، فلا يمكن الوصول إليها إلا إذا خلقت، ومن الغيب ما هو موجود ولا يمكن الوصول إليه

فى عالمه وهى الأرواح قبل نزولها إلى الأشباح .

وقوله ـ رضى الله تعالى عنه : ـ

(لكونه عند أكثر الخلق غيبًا لا يشهدونه ، ومن شهده منهم فلا إحاطة عنده) . ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾ (١) .

الشرح :

قلت : المراد بأكثر الخلق جميع الخلق ، فلم ير الله تعالى إلا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لكن بلا كيف ولانحصار.

وقوله ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

فهو غيب أيضًا

أى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ لأنه محجوب عنا فهو بالنسبة إلينا من الغيب ، ونحن بالنسبة إلى علمه من المشاهدة .

وقوله ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

والكل غائب عنه

هذه الجملة لعلها أن تكون محرفة من الكاتب ولعل الصواب أن

(١) طه : ١١٠ .

يكون وهو محجوب أو مغيب عن الكل . ومعناها أن الأبصار لا تدركه ـ سبحانه وتعالى ـ .

وقوله ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

وهو من باب : الحج عرفة . فإن كل شىء غائب يطلق عليه غيب

قلت : أفراد الغيب كثيرة وإطلاقها على الله وحده فى قول الناظم :

﴿ توضأ بماء الغيب ﴾

تغليب له على أفراد الغيب الأخرى للأهمية وإن كانت تسمى غيبًا ، كما أن للحج أركانًا غير الوقوف بعرفة لا يتم الحج إلا بها ، واطلق النبى صلى الله عليه وآله وسلم الحج على عرفة فقط لأهميته لا على أنه لا ركن سواه ، كذلك إطلاق الغيب على الله لأهميته لا على أنه لا غيب سواه

حكم ونفحات وأنوار جعفرية

فتجرد من محيط الشهوات ومخيط الهوى ، إلى عرفات قدسك بالوادى المقدس طوى ، فعساك أن تسمع النداء ، لترتحل عن الأفياء . فما فاء من شغله فيء ، ولا سرى نحو كثبان طى ، ولا طوى بعيس جده البيداء طى ، وكيف يطوى من شغلته عن عرفاته مى ، فما

سبحت أرواحهم إلا بأجنحة أعمالهم ، ولا نشطت أفكارهم إلا بقلة آمالهم .

فلا تحير روحك بين زائلين : جسدك وأملك ، وانهض بكليتك إلى حظيرة قدسيتك وعملك ، فما أنت إلا غريب طيار ، مالك فى هذه الدنيا من قرار.

أنسيت يوم أن طرت من السماء إلى الأرض ، لإقامة السنة وأداء الفرض ، إلى أجل مسمى ، ثم تطير كما كنت .

فهل نسيت أنك طائر؟ أم إلى أرض جسمك أخلدت؟ وهل يعيش طير بغير طيران؟ أم يتنعم روح علوى بغير قرآن؟ أم هل أنستك الغفلة السفرة الكرام البررة؟

وكيف ركنت إلى الوحوش الضارية ، والكوارث السامة ، والبلايا النازلة ، والبلاقع الخاوية؟ وكيف استبدل روحك أصوات القرآن العلوية بمنكرات الأصوات السفلية ، ما بين ناهق ونابح ، وسخاب ونائح ، وطعان وكاشح؟

أفق من غفلتك إلى يقظتك ، ومن رقدتك إلى جنتك ، فقد آن أوان رحيلك إلى مقيلك بظليلك .

فهناك العيش وبهجته * فلمبتهج ولمنتهج

قال سيدى الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس ــ رضى الله تعالى عنه ـ وقوله :

﴿ إن كنت ذا سر ﴾

المراد بالسر كينونة الحق سمعًا وبصرًا ويدًا ورجلاً كما يليق بجلاله من غير حلول ولا مزج ولا أن يرجع العبد ربا ولا الرب عبدًا ولا ولا ولا، بل حقيقة الألوهية لا تعرف إلا بالذوق ومن عرفها لالسان عنده يبلغها لغيره ، كحلاوة العسل لو عبر عنها المعبر ما عبر ما أدركها من لم يذقها على ما هى عليه ، ولا وجد طعمها ولذتها كمن ولد أعمى ، وأردت أن تعبر له عن لون البياض والسواد والخضرة والصفرة ونحوها فإنك لا تقدر أن توصل كيفيتها إلى ذهنه ، لعدم تقدم رؤيته لشيء منها فأنت تصف له وذهنه يذهب إلى غير ما وصفت له .

نعم إن كان فيك قدرة تزيل عنه العمى فتريه إياها فحينئذ يعرفها ذوقًا ، وإلا فلا سبيل إلى إيصالها إليه بوجه من الوجوه ، وقد ورد النقل المجمع على صحته عند كافة المحدثين وإن اختلفت رواياتهم فيه فالأصل متفق عليه فيجب الإيمان بها كما يعلم الله ، ولا يجوز الخوض فيها بالفكر ، والتكذيب بها تكذيب لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا مانع فى وجدانها ذوقًا ، ففى الحديث :(من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها) .

وصاحب هذا المقام هو صاحب الطهارة الكبرى التى لا تجامعها شائبة بنجاسة غير ولا سوى ، لكونه رجع إلى أصله الذى هو نور الحق الظاهر المقبوض منه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو أصل الكل .

الشرح : قوله ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

المراد بالسر كينونة الحق سمعًا وبصرًا ويدًا ورجلاً كما يليق بجلاله من غير حلول ولا مزج ولا أن يرجع العبد ربا ولا الرب عبدًا و لا ولا ولا.

قال راجى رحمة ربه ومغفرته ورضوانه [صاحب الكرامات الظاهرة والأسرار الباهرة سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه] : أراد السيد ـ رضى الله تعالى عنه ـ بقوله : (كينونة الحق) الحديث القدسى الآتى الذى منه : (كنت سمعه الذى يسمع به . الخ) .

اعلم يا عبد الله أن الحق سبحانه يستحيل عليه أن يكون منفصلاً عن شيء أو أن يكون شيء منفصلاً عنه ، أو يتصل بشيء أو يتصل به شيء ، ولا يدنو من شيء دنو حس بل تنزه ـ سبحانه ـ عن جميع صفات الحوادث .

إذا علمت ذلك فاعلم أن ماكان متشابها من الآيات والأحاديث النبوية فللعلماء فيه رأيان : السلف يؤمنون به مع صرف ظاهره عما لايليق بالحق ـ سبحانه وتعالى ـ والخلف يؤولون ، قال سيدى إبراهيم اللقانى صاحب الجوهرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

وكل نص أوهم التشبيها
أوِّله أو فوِّض ورُم تنزيها

وهذا الحديث من قبيل المتشابه ، وقد عبر شيخنا السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى شرحه عن طريقتى السلف والخلف ففى أول كلامه أشار إلى مذهب السلف ، وفى آخر كلامه أشار إلى مذهب الخلف ، كما ستقف على ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ .

فقوله رضى الله تعالى عنه ـ : (ولا ولا ولا) تأكيد لمذهب السلف ، ثم أراد أن يدلل عليه فقال :

بل حقيقة الألوهية لا تعرف إلا بالذوق ومن عرفها لا لسان عنده يبلغها لغيره ا هـ .

قلت : المراد بالذوق : الوجدان الروحانى القلبى الشعورى ، والمراد بالمعرفة : وصول القلب إلى ما جاء به الشرع من صفاته سبحانه وتعالى لا معرفة الألوهية كما هى ، كما قال العارف بالله :

ونـدرك منها مع كمال عقولنا
كما يدرك الخفاش من ضوء الشمس

وكما قيل :

البحث عن كنه ذات الله إشراك
والعجز عن درك الإدراك إدراك

وأراد بقوله : (ومن عرفها) الوصول إلى التجليات التى تقدم ذكرها التى يتلذذ العارفون بها ، ولذلك ضرب المثل بالعسل ، لا معرفة حقيقة الذات الأقدس التى لا يمكن لمخلوق أن يصل إليها كما قيل : (ما عرف الله إلا الله) .

وقوله : (لا لسان عنده يبلغها لغيره) لأن لذات التجليات الإلهية التى عند العارف لا يمكن أن يوصلها إلى المحروم منها الذى لم يعرفها بالكلام معه والوصف له بوجه من الوجوه ، ولما كان للتجليات وجهتان : الذوق والمشاهدة ضرب المثل بالعسل للذوق ، وبالأعمى للمشاهدة .

وقوله ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

وقد ورد النقل المجمع على صحته عند كافة المحدثين وإن اختلفت رواياتهم فيه فالأصل متفق عليه .

أشار رضى الله تعالى عنه إلى هذا الحديث القدسى الذى ستسمعه :

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا

يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه) رواه البخارى .

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة : ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (قال الله عز وجل من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى ، وما تقرب إلىَّ عبدى بمثل أداء الفرائض ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها وأذنه التى يسمع بها ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به ، وإن دعانى أجبته ، وإن سألنى أعطيته ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن وفاته ، وذاك لأنه يكره الموت وأنا أكره مساءته) أخرجه أحمد ، والحكيم الترمذى ، وأبو يعلى ، والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم فى الطب ، والبيهقى فى الزهد ، وابن عساكر عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ .

وعن أم المؤمنين السيدة ميمونة ـ رضى الله تعالى عنها ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (قال الله تعالى : ما تقرب إلىَّ العبد بمثل أداء فرائضى ، وإنه ليتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت رجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها ولسانه الذى ينطق به وقلبه الذى يعقل به ، وإن سألنى أعطيته وإن دعانى أجبته) أخرجه ابن السنى فى الطب .

وقوله ـ رضى الله تعالى عنه ـ

ويجب الإيمان بها

أى : الكينونة فى قوله تعالى : كنت سمعه ... إلخ .

وقوله : ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

كما يعلم الله

هذا هو مذهب السلف الصالح فى المتشابه .

وقوله :

لا يجوز الخوض فيها بالفكر

هذا أيضا تقرير لمذهب السلف .

وقوله :

والتكذيب بها تكذيب لله ورسوله

لأن الحديث صحيح كما علمت .

وقوله :

ولا مانع من وجدانها ذوقًا

هذا شبيه بمذهب الخلف ، لأن الوجدان الذوقى لا يتأتى إلا عن شىء من المعرفة غير أنه لا تأويل هنا حيث لا مجال للعقل فيه ، والأذواق تنزه عن الإدراك فكيف يدرك من ذاق حلاوة شهوده .

قوله :

ففى الحديث (من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها)

(يقول خزينة الأسرار الحسينية سيدى الغوث الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبأسراره آمين) :

ويشترط فى نيلها التصديق بها ، والسعى فى الوصول إليها بطريقها المختص بها .

أما إذا سعى لها غير سعيها لم ينلها ولو صدق بها ، كما لو سعى لها سعيها ولم يصدق بها .

فالأول : أتى البيوت من أبوابها ، قال تعالى : **﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾** [1] وسعى لها سعيها ، قال تعالى : **﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا﴾** [2] .

والثانى : لم يأت البيوت من أبوابها ، قال ابن الفارض رحمه الله تعالى :

---

(١) البقرة : ١٨٩ .

(٢) الإسراء : ١٩ .

أتيت بيـــوتـــا لم تنل من ظهـــورهـــا

وأبـــوابُهـــا عن قـــرع مثلك سُـــدَّت

والثالث: يأتى البيوت من أبوابها ولكنه شك فى وعد الحق فكان جزاؤه الحرمان.

وينبغى للمؤمن أن يعمل لكل فضيلة سمعها عن الله ـ تعالى ـ معتقدًا حصول ما وعد الحق به، وربما نال فوق ما كان قاصدًا، قال ابن الفارض ـ رحمه الله تعالى ـ:

* ونلت مرادى فوق ما كنت راجيًا *

ولتلك الفضائل شعب متنوعة: فتارة تتعلق بالآخرة فقط، وتارة تتعلق بالدنيا، وتارة تتعلق بهما معا، فالشعبة التى تتعلق بالدنيا ترى فى الدنيا عند مراعاة شروطها المتقدمة، والشعبة الأخروية تنقسم إلى قسمين: تجليات روحانية قلبية وهى تحصل فى الدنيا، ونعيم أخروى وهو يحصل فى الآخرة.

ومنهم: من شغله نعيم التجلى عن كل نعيم، فاستنار به حلك الليل البهيم، وله فى كل نفس قدرة تعمل، كما قال سيدى عمر بن الفارض ـ رضى الله تعالى عنه ـ.

* ولى عن كل شغل بها شغل *

ومنهم: من تغلب عليه الحال والوجدان، فدخل وهو فى صلاته جنة الرضوان.

ومنهم: من نال منالاً لم يكن فى حسبانه وكان عنه لاهيًا، كما قال سيدى عمر بن الفارض ـ رضى الله تعالى عنه ـ:

وفى سكـــرة منهـــا ولـــو عمـــر ســـاعـــة

تـــرى الـــدهـــر جنـــدًا خـــادمًـــا ولك الحكم

ومنهم: من رأى مالا يرى فأحجم عن المقال.

ومنهم: من قال بلسان حاله فلم يدر السامعون ماذا قال.

ومنهم: من إذا سرِّى به عن حاله ربما أنكر مقاله.

ومنهم: نائح وكاتم.

ومنهم: صائم وقائم.

ومنهم: من سكن الجبال والقفار.

ومنهم: من خفى عن الزوار، كما قال سيدى عمر بن الفارض ـ رضى الله تعالى عنه ـ:

خـــافيًـــا عن عـــائد لاح كمـــا

لاح فى بـــرديـــه بعـــد النشـــر طى

كهـــلال الشك لـــولا أنـــه

أن عينـى عينـــــــــه لـم تتـأى

فتراه يصف حال المحب العاشق وضعفه حتى صار يشبه العلامة التى فى الثوب المطوى من أثر الطى بعد نشره وصار فى خفائه كهلال

الشك ، ويقول لولا أنينه عينى الباصرة لم تتأى عينه : لم تقصد ذاته ، ولم تعرفه فى أى مكان لخفائه ، وقد أشار إلى ذلك ــ رضى الله تعالى عنه بقوله ـ :

أخفيت حبكمـــــو فأخفـــانى أسى

حتى لعمـــــرى كـــــدت عنى أختفى

وكتمتـــــه عنى فلـــــو أبـــديتـــه

لـــوجـــدتـــه أخفى من اللطف الخفى

* * *

حكم جعفرية

وهكذا يا أخانا جاء الخفاء من الخفاء ، والوفاء من الوفاء ، والواردات من الأوراد ، والحب والشوق من فرط الوداد .

وأهديت الغوالى لمن ترك الغوالى ، وأوقدت السرج لمن سهر الليالى .

وانهل غيث مزن المعصرات ، لمن تحققوا بحقائق التجليات .

وفتحت أبواب القلب فدخلوها ، من بمفاتيح حركات اللسان بذكر فتحوها ، فوجدوا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن نفائسها ما أفاضته ألسنتهم ، وسطّره بنانهم .

فعليك بسماع فيوضاتهم عساك أن تحظى ببعض بركاتهم ، فما

ضل من صحب الأكابر أو صار فى ركبهم ، بل يصل إلى ما وصلوا ولو جاء من بعدهم ، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء**﴾ (١) فأرح راحلتك تحت ظلال أشجارهم ، فعساك أن تطرب بتغريد أطيارهم ، فكم غرد عند ليبهم فاهتزت له أشجارهم طربًا ، فتساقط على أحبائهم من عراجين دواء قلوبهم رطبًا ، فأكلوها فقرت بها أعينهم ، ووجدوا لها ذوقًا عجبًا ، فيها ما يشفى الصدور وينعش الأرواح ، ويغتصب من اغتصبه العدو إلى أهوائه ، حتى يعود إلى ربه شاكرًا لنعمائه ، ذاكرا له بالقلب والقالب ، مفكرًا فى ارتفاع السحب ودورة الكواكب ، ومنهم من تبعثه ثمارهم ، ليطير إلى أوكارهم ، فما وصل من اتصل بأرضه وفى أمره حار ، وإنما الوصول لمن فارق أرض الطبع التركيبى وإلى سماء العلو طار ، حتى يكون طيرانه فى عوالم قدسه بعدد أنفاسه وحركاته وسكناته وخطراته ، حتى لا يخلو عن التجلى الإلهى بوجه من الوجوه .

الطهارة الكبرى هى خلع صفات النفس وإثبات صفات الروح

وقوله ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

---

(١) الطور / ٢١ .

[وصاحب هذا المقام هو صاحب الطهارة الكبرى التى لا تجامعها شائبة نجاسة غير ولا سوى].

قال: [مربى المريدين وقدوة السالكين سيدى الشيخ] صالح الجعفرى والاه الله بعفوه وعافيته آمين.

تنقسم الطهارة إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ حسية وهى التى تتعلق بإزالة عين النجاسة، وتسمى طهارة الخبث، ولها أثر معنوى وهو الحكم الذى يترتب على إزالتها، وهى الصفة التى يوصف بها الثوب المتنجس بعد غسله بالماء وهو كونه صار طاهرًا، فالماء حسى والنجاسة حسية فإذا التقيا بأن أزال الماء النجاسة ظهر بعد ذلك أمر معنوى يسمى الطهارة ولذلك إذا أزيلت النجاسة بماء طاهر غير طهور لا يثبت الوصف المعنوى المسمى بالطهارة.

٢ ـ وطهارة حسية يترتب عليها طهارة معنوية وهى طهارة الحدث الأصغر والأكبر فالماء حسى، والحدث سواء أكان أكبر أو أصغر معنوى، فإذا التقى الماء الحسى بالحدث المعنوى فأزاله ظهر حكم معنوى يسمى الطهارة.

وهذه الطهارة المتقدم ذكرها تسمى بالطهارة الصغرى، لأنها تتعلق

بالمحسوسات، وتقابلها الطهارة الكبرى [١] التى أشار إليها السيد ـ رضى الله تعالى عنه ـ وهى التى تتعلق بالنفوس كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس) فالجهاد جهادان: أصغر وهو الحسى، وأكبر وهو المعنوى.

إذا فهمت هذا فهمت كلام الأستاد الشفاء ـ رضى الله عنه ـ فى قوله: (وصاحب هذا المقام هو صاحب الطهارة الكبرى) كأنه يقول لك: الطهارة قسمان: صغرى وكبرى.

وإنما قدمت لك بحث الطهارة الحسية للمشابهة بينها وبين المعنوية، وبيان ذلك أن الطهارة الحسية وهى استعمال الماء ينشأ عنها طهارة معنوية تبيح لمن اتصف بها أن يدخل الصلاة مثلا، كذلك مجاهدة النفس الحسية بكثرة الصوم والذكر والعزلة والصمت والسهر تجعلها تتصف بصفة معنوية تسمى الاستقامة، وهى المعبر عنها بالطهارة الكبرى، وهى تبيح لصاحبها أن يدخل حظيرة القدس.

وبعبارة أخرى: الطهارة الكبرى هى خلع صفات النفس الأمارة وإثبات صفات الروح ﴿فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾ [٢].

اعلم يا من وفقه الله إلى أورادنا وأحزابنا حتى شرب من شرابنا وأثبت صورتنا فى مرآة قلبه أن الخلع خلعان: خلع ظاهرى وهو الذى يتعلق بالحس، وخلع معنوى وهو الذى يتعلق بالنفس، ففى قوله ـ

(١) وهى القسم الثالث.

(٢) سورة طه: ١٢.

تعالى ـ: ﴿**اخلع نعليك**﴾ أشار إلى الخلع الحسى والذى فى قوله ـ تعالى ـ ﴿**لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون**﴾ (١). أشار إلى الخلع المعنوى النفساني؛ لأن حظيرة القدس فى مقام المكالمة الإلهية لا يصح فيها الخوف من غير الله، لأنها حضرة مشاهدة ومكالمة ومعية.

وقد دلت الآية الشريفة على ارتباط الطهارتين ارتباطا تتوقف فيه الطهارة الثانية على الأولى، قال تعالى: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ (٢) فإن كان المراد الطهارة من النجاسات ـ وقد نشأ صلى الله عليه وآله وسلم طاهر الباطن والظاهر والثياب ـ فالمراد التزام المداومة لزوم المداوم على ذلك، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**يا أيها النبى اتق اللهولا تطع الكافرين والمنافقين**﴾ (٣) وكقوله ـ تعالى ـ ﴿**فاصبر لحكم ربك**﴾ (٤) وكقوله ـ تعالى ـ: ﴿**يا أيها النبى جاهد الكفار**﴾ (٥) وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم أتقى الخلق وأصبرهم لحكم ربه وإمام المجاهدين.

وفى حق غيره صلى الله عليه وآله وسلم أمر بإيجاد الطهارة الظاهرة، والباطنة تكون من باب أولى، وقد جاءت صريحة فى قوله ـ تعالى ـ ﴿**مخلصين له الدين**﴾ (٦) فالإخلاص طهارة باطنية.

---

(١) سورة النمل: ١٠.
(٢) سورة المدثر: ٤.
(٣) سورة الأحاب: ١.
(٤) سورة القلم: ٤٨.
(٥) سورة البينة: ٥.
(٦) سورة البينة: ٥.

قولـه:

التى لا تجامعها نجاسة غير ولا سوى

قلت: المراد بالغير والسوى: اشتغال القلب بغير الله تعالى، وهذا عندهم بمنزلة النجاسة الحسية فى الثوب تمنع صاحبها دخول الصلاة، كذلك النجاسة المعنوية تمنع صاحبها دخول حضرة القدوس، ولذلك يقولون (حضرة القدوس محرمة على أرباب النفوس) أى أرباب النفوس الأمارة بالسوء الظلمانية المشغولة بغير الله تعالى، قال الشيخ الأخضرى ـ رحمه الله ـ:

فـاخلع نعـال الكـون كى تـراه
وغـض طـرف القلب عـن سـواه

واعلم يا عبد الله أن المؤمن فى تطورات أحواله كالليل والنهار، فإذا تغلبت شمس إيمانه على ظلمة نفسه فهو فى نهار، وإن تغلبت ظلمة نفسه على شمس إيمانه فهو فى ليل، قال تعالى: ﴿**فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة**﴾ (١).

ولذلك (**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**) بل يستر ظلامُ نفسه شمسَ إيمانه حتى يقع فى المعصية، والشمس توارى ولا تزول، إذ لو

---

(١) الإسراء: ١٢.

زالت لما رجعت، ولذلك يندم المؤمن عقب فعل المعصية، وذلك بعد عودة شمس إيمانه التى وارتها ظلمات نفسه.

ولما كان الرسل ـ عليهم السلام ـ معصومين كانت شمس إيمانهم فى الدنيا أشبه بشمس يوم القيامة التى لا ليل معها، فآية نهار الرسل ـ عليهم السلام ـ لا محو لها بوجه من الوجوه.

وحال العارفين أشبه بشمس أيام آخر الزمان التى تمكث عامًا لا تغرب، فهم ليسوا كغيرهم من عامة الناس، قال شاعرهم:

إن شمس النهار تغرب بالليل

وشمس القلوب ليست تغيب

انتبه أيها المريد

فانتبه لشمسك عن طمسك، ولنهارك عن ليلك ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون**﴾ (١) فاحذر أن ينسلخ نهار قلبك عن قلبك فتظهر آية ليل نفسك، فإن ظهر ليلها تأمرت، وهى لا تأمر بخير، قال تعالى: ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمَرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا**﴾ (٣).

(١) سورة يس: ٣٧. (٢) سورة يوسف: ٥٣.

(٣) سورة الإسراء: ١٦ وهى بتشديد الميم فى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما.

فإذا أمرت نفسك خسرت يومك وأمسك، نصحها غش، وعلمها جهل، وقرينها عدو، قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ:

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

وقوله ـ رضى الله تعالى عنه ـ:

لكونه رجع إلى أصله الذى هو نور الحق الظاهر المقبوض منه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو أصل الكل

قلت: أشار ـ رضى الله تعالى عنه ـ بذلك إلى الحديث الذى أخرجه الحافظ عبد الرزاق فى مسنده، ونقله عنه العلامة الشيخ أحمد القسطلانى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه: (المواهب اللدنية) وشرحه العلامة الشيخ الزرقانى ـ رحمه الله ـ ونقله العلامة الشيخ النبهانى رحمه الله تعالى ـ فى كتابه (الأنوار المحمدية) ونقله كثير من المحدثين وأرباب السير، ونقله الفقيه العلامة الصوفى الشيخ أحمد الدردير ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى مولده الذى شرحه العلامة الشيخ إبراهيم الباجورى ـ رضى الله تعالى عنه ـ وكذلك العلامة المحدث الشيخ ابن حجر الهيثمى ـ رحمه الله تعالى ـ ولفظه:

عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قلت: (يا رسول الله ـ بأبى أنت وأمى ـ أخبرنى عن أول شىء خلقه الله ـ تعالى

ـ قبل الأشياء . قال : يا جابر : إن الله ـ تعالى ـ خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الجزء الثانى اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثانى الكرسى، ومن الثالث باقى الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء : فخلق من الأول السمٰوات ، ومن الثانى الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء : فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد(لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

وقول الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

لكونه رجع إلى أصله الذى هو نور الحق الظاهر المقبوض منه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو أصل الكل .

قلت : هذا الكلام يشرحه لك قول السيد ـ رضى الله تعالى عنه ـ المنقول عنه فى الكتاب المسمى بالعقد النفيس ص١٨٥ ونصه :

وسئل ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن قوله تعالى : ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾[1] فأجاب أن لها تفسيرين :

أحدهما : أن اليقين هو الموت، وهو الظاهر، فتكون حتى للغاية .

الثانى : أن اليقين هو أن يرى الشىء عيانا ؛ ألا ترى أن الواصف إذا وصف لك شيئًا وأنت معتقد اعتقادًا صحيحًا لا يختلجك شك، ولا ريب عندك أنه صادق فيما وصف لكنك لم تر ذلك الموصوف فأنت لا تزال تتخيل هذا الموصوف وتتصوره ومعلوم قطعًا أن تخيلك وتصورك لهذا الشىء الذى لم تره لا يطابق حقيقته ، كمن يصف لك مكة مثلاً وأنت لا تعرفها فتتصورها تصورًا لا يطابق ما إذا رأيتها عيانا .

فإذا رأى الإنسان حقيقة الأمر آمن به وهو يشاهده، وإذا آمن بما وصفه الواصف من مشاهدة فهو مؤمن بالغيب .

والمؤمن إذا عبد الله حق عبادته بقدر استطاعته عرَّفه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإذا عرَّفه فلا يشهد سواه حتى إنه يحول بينه وبين قلبه، أى إذا رأى قلبه بعين البصيرة وجد الله حائلا بينه وبين قلبه .

وبهذه المعرفة تنال المعارف الإلهية التى من لدنه ـ تبارك وتعالى ـ وكلما صفا صوفى وصفا قلبه قربت منه أشكال المعارف، ألا ترى أن الزجاج أصله حجر كثيف ثم لما صفى وزالت عنه الكدورات قرب

(١) الحجر: ٩٩ .

الأشخاص البعيدة، فإن الناظور يقرب الشيء البعيد حتى إن مازادت تصفيته يقرأ الإنسان به مكتوبًا من مسافة بريد، كذلك المنظرة تقرب الشمس من مسيرة أربعة آلاف عام حتى تحرق ما وقعت عليه، وهذا أعظم من فعل آصف بن برخيا فإنه أتى بعرش بلقيس من مسافة ثلاثة أشهر قبل أن يرتد الطرف، وهذه أتت بالشمس من مسيرة أربعة آلاف سنة قبل ارتداد الطرف فإنك إذا ركبتها على شيء أحرقته بمجرد وقوعها عليه.

فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم هو عين الوجود وواسطة عقده، أخذ من أنوار الحق تعالى بقدر صفوه، فالآخذ من الله ـ تعالى ـ بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولله المثل الأعلى ولرسوله ـ فى القوى كآخذ الضوء من الشمس بواسطة الزجاجة، وهذا تشريف لهذه الأمة وأى تشريف لأنهم الآخذون بواسطته، والآخذ من الله ـ تعالى ـ من غير واسطته صلى الله عليه وآله وسلم كآخذ الشيء من الشمس من دون واسطة الزجاجة، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو النور الذى قبضه الله من قبضة نوره، قال ـ تعالى ـ: ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾ (١).

فالنور هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ لو كان النور هو الكتاب لكان لفظًا متكررًا، والحق ـ تعالى ـ هو سمعه وبصره وقلبه إلى آخره.

(١) سورة المائدة: ١٥.

فكله صلى الله عليه وآله وسلم نور مع أنه متحيز فى بشريته، وفى عبوديته، والحق ـ تعالى ـ مطلق فى كبريائه؛ وفى ملكوته ﴿**وهو الله فى السموات وفى الأرض**﴾ (١) فى حال كونه ﴿**على العرش استوى**﴾ (٢) فى حال كونه قلب عبده المؤمن، وبصره، وسمعه سبحانه.

فلرسول الله: صلى الله عليه وآله وسلم وجهتان: وجهة إلى الحق ـ تعالى ـ وهو المقام الذى قال تعالى فيه: ﴿**والله ورسوله أحق أن يرضوه**﴾ (٣) فأعاد الضمير بصيغة الإفراد. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً**﴾ (٤) فأعاد الضمير بصيغة الافراد، وقال صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا المعنى: (**من رآنى فقد رأى الحق**) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (**إن لى وقتا لا يسعنى فيه إلا ربى**) ولذا قال تعالى: ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا**﴾ (٥) فالحجاب المستور هو كونهم ما رأوا فيه إلا البشرية والعبودية، إذ لو صدقوه لرأوا ما رأى الذين قال ـ تعالى ـ فى حقهم: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ (٦).

فهو صلى الله عليه وآله وسلم أقرب الكون إلى الله، بل فوق العرش

(١) سورة الأنعام: ٣.
(٢) سورة الأنعام: ٥.
(٣) سورة التوبة: ٦٢.
(٤) سورة الفتح: ٨، ٩.
(٥) سورة الإسراء: ٤٥.
(٦) سورة لفتح: ١٠.

الحجب سبعون حجابًا ، ما بين كل حجاب وحجاب مسافة سبعين ألف سنة ، وغلظ كل حجاب سبعون ألف سنة ، وفوق ذلك فضاء لا يعلم قدر مسافته إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو الذى يقال له عالم الرقا ، وهو مظاهر أسماء الله وهو فوق العرش والكرسى ، ووراء هذا كله نور سيد الكونين والثقلين الرسول الخاتم ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيد ولد آدم أجمعين .

ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله الأعرابى أين كان الله ـ تعالى ـ قبل أن يخلق الخلق؟ قال : كان فى عماء (بالمد والقصر) ، فازداد السائل حيرة ، لأنه إن كان بالمد وهو السحاب الرقيق فيكون معناه : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام﴾ (١) وإن كان بالقصر فهو الغشاوة على القلب أو العين فاستفاد السائل هذا العلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبه ازداد حيرة ، فالعلم بالله ـ تعالى ـ كلما زاد زاد صاحبه حيرة .

وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومًا لأصحابه : **(لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحار ، ولزالت بدعائكم الجبال ، ولو خفتم الله ـ عز وجل ـ حق مخافته لعلمتم العلم الذى ليس معه جهل ولكن ما بلغ ذلك أحد)** قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : **(ولا أنا)** ، قالوا ما كنا نظن أن الأنبياء تقصر عن ذلك ،

(١) البقرة : ٢١٠ .

قال : **(الله أعظم من أن ينال أحد أمره كله ، وراء ذلك ما لا يعلمه إلا الله)** .

ومع هذا فهو صلى الله عليه وآله وسلم فى حيرة ولذا قال : **(رب زدنى فيك تحيرًا)** وهو أيضًا مع كونه فى مقام الأمن والقرب أخوف الخلق من الله ـ تعالى ـ وفى مقام الخوف قال صلى الله عليه وآله وسلم : **(ليت رب محمد لم يخلق محمدًا)** يعنى أنه يتمنى أن لو لم يقبض الحق ـ تعالى ـ قبضة من نوره لتحيز البشرية ، بل كانت مطلقة فى أصلها ، وقال أبو بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ : ليت أبا بكر كان شجرة فعضدها جمل فى فيه فكان بعرًا ولم يكن بشرًا ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف .

ولـه صلى الله عليه وآله وسلم وجهة إلى الخلق ، قال تعالى : ﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله**﴾ (١) وقال تعالى : ﴿**يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا**﴾ * ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾ (٢) وجعله المرسل والمرسل إليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم **(لا تدخل الشوكة فى رجل أحدكم إلا وجدت ألمها)** .

فهو صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة الكون ، كما أن الشجرة لها ورق وغصون وفروع وعروق وطلوع وزهر وثمر وحقيقة الكل شجر

(١) سورة الحجرات : ٧ .
(٢) سورة الفتح : ٨ ، ٩ .

فجميع دعائه صلى الله عليه وآله وسلم بصيغه الإفراد المراد به أمته فدعاؤه لنفسه عين دعائه لأمته.

فمن صفا قلبه من أمته صلى الله عليه وآله وسلم وتوجه به إلى الله تعالى بواسطة رسول صلى الله عليه وآله وسلم تفجر من قلبه ينابيع الحكمة، وأخذ قلبه أنوار العلم الإلهى فقوى بقوة قابلية الواسطة صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كان كذلك فهو الوارث الذى قال فيه صلى الله عليه وآله وسلم: «**العلماء ورثة الأنبياء**» ومن لفظ الصفاء أخذ الشاعر تسمية الصوفى صوفيًا فقال:

لا تحسبن لباس الصوف لابسه
يدعى به بين أرباب العلى صوفى
تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا
وكلهم قال قولا غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صفا فصوفى حتى سمى الصوفى

اهـ من العقد النفيس.

قوله:

لكونه رجع إلى أصله الذى هو نور الحق الظاهر . . إلخ

أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿**الله نور السمٰوات والأرض**﴾ (١) ومن معانى هذه الآية الشريفة أى: منور السمٰوات والأرض وما فيهن بالأنوار الحسية والمعنوية.

الإنسان له أصلان: التراب والروح، فمن أخلد إلى الأرض واتبع هواه فقد رجع إلى أصله الترابى، ومن طهر نفسه ونورها بأنوار العلم والعمل فقد رجع إلى أصله الروحانى.

ونور الحق الظاهر هو الذى خلقه الله تعالى بقدرته، ثم خلق منه نبينا سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم.

بعد أن خلق الله الأرواح بقوله: ﴿كن﴾ أودعها مقرها: فهى جنود مجندة تتنزل إلى الأرض على وفق ما كتب لها، إذ لكل روح أجل فى السماء، وأجل فى الأرحام، وأجل فى الأرض، وأجل فى البرزخ، وأجل فى المحشر، وأجل فى الجنة، وأجل فى النار، قال ـ تعالى ـ ﴿**لكل أجل كتاب**﴾ (٢).

والروح بعد نزولها مع الجنين إلى الأرض تبقى مطلقة إلى عهد البلوغ، وبعده إما أن تكون متصلة بالنور المحمدى، وإما أن تكون منفصلة، واتصالها يكون بالإيمان، وانفصالها يكون بالكفر.

والاتصال إما أن يكون قويًا بالطاعات، وإما أن يكون ضعيفًا بالمعاصي، والاتصال القوى يتفاوت بتفاوت القرب، فمن توضأ بماء

(١) سورة النور: ٣٥.
(٢) سورة الرعد: ٣٨.

الغيب فقد رجع إلى أصله، أى اتصل بالنور المحمدى اتصالا ظاهريا بالتمسك بالكتاب والسنة، واتصالا باطنيًا بالمحبة الخالصة، فيمتد ظاهرًا بالمدد الظاهرى والوراثة الظاهرة والاتصال الظاهرى، ويمتد باطنًا بالمدد الباطنى، وإلى هذا أشار سيدى عبد السلام بن مشيش - رضى الله تعالى - عنه بقوله:

(اللهم صلِّ على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار).

فانشقاق الأسرار لمن طهرت منهم السرائر، وانفلاق الأنوار لمن استقامت منهم الظواهر.

وقوله:

وهو أصل الكل

يعنى: فى الإمداد، كما أشار إلى ذلك البوصيرى - رحمه الله تعالى - بقوله:

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

قال الإمام السيد أحمد بن إدريس - رضى الله تعالى عنه - (**الذى طارت منه رشاشات فاقتسمتها بحكم المشيئة الإلهية جميع المبدعات**).

وقال: الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى - رضى الله تعالى عنه -.

كذلك عين البصيرة حجابه الرين والشهوات وملاحظة الأغيار من العالم الطبيعى الكثيف إلى أمثال هذه الحجب، فتحول بينه وبين إدراك الملكوت أعنى عالم الغيب.

نور الوجود

فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه وجلاها بالذكر وتلاوة القرآن فحصل له من ذلك نور، ولله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى نور الوجود، فإذا اجتمع النوران تكشف المغيبات على ما هى عليه، وعلى ما وقعت فى الوجود، غير أن بينهما لطيفة معنى وذلك أن الحس يحجبه الجدار والبعد المفرط والقرب المفرط، وعين البصيرة ليس كذلك لا يحجبه شىء إلا ما ذكرنا من الران والكن وأشباه ذلك إلا أنه أيضًا ثم حجاب لطيف أذكره وهو أن النور الذى ينبسط من حضرة الجود على عالم الغيب فى الحضرات الوجودية لا يعمها كلها ولا ينبسط منه عليها فى حق هذا المكاشف إلا على قدر ما يريد الله - تعالى - وذلك هو مقام الوحى.

دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له، ولغيرنا قوله: ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى**﴾ [1] مع غاية الصفاء المحمدى

(١) سورة الأحقاف: ٩.

وهو قوله: ﴿أو من وراء حجاب﴾ [1] فمهما ظهر ممن حصل فى هذا المقام شىء من ذلك على ظاهره فى حق شخص فتلك الفراسة، وهى أعلى درجات المكاشفة، وموضعها من كتاب الله - تعالى -: ﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [1] من السمة وهى العلامة كما قلنا ولا يخطىء أبدًا، بخلاف الفراسة الحكمية، وثم كشف آخر فى الفراسة وذلك أن الله جعل فى العالم حضرة السماك فيها صور بنى آدم وأحوالهم فى أزمانهم إلى حين انفصالهم، وهى مخبوءة عن جميع الخلائق العلوى والسفلى إلا عن القلم واللوح.

فإذا أراد الله اصطفاء عبد وأن يخص بهذا المقام طهر قلبه وشرحه وجعل فيه سراجًا منيرًا من أسمائه خاصة يسرجه من الأسماء الإلهية الاسم المؤمن المهيمن، وبيده هذه الحضرة وذلك السراج من حضرة الألوهية يأخذه الاسم المؤمن، فإذا استنار القلب بذلك النور الإلهى وانتشر النور فى زوايا قلبه مع نور عين البصيرة بحيث يحصل له إدراك المدركات على الكشف والمشاهدة لوجود هذه الأنوار.

فإذا حصل القلب على ما ذكرناه جعل فى ساحة من ساحات هذا القلب تلك الحضرة التى ذكرناها فمن هناك يعرف حركات العالم وأسراره اهـ آخر الجزء الثالث من الفتوحات المكية ص ٢٤١ للشيخ

(١) سورة الشورى: ٥١.

(٢) سورة الحجر: ٧٥.

الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى - رضى الله تعالى عنه -».

وإنما ذكرت لك هذا الكلام ليكون لك كشرح بنفس عال لكلام السيد أحمد بن إدريس - رضى الله تعالى عنه - بنفسه العالى حينما قال: (لكونه رجع إلى أصله الذى هو نور الحق الظاهر... إلخ).

***

قوله:-

﴿وإلا تيمَّمْ بالصعيد﴾

قال صاحب العلم النفيس أبو العباس الشريف السيد أحمد بن إدريس - رضى الله تعالى عنه -:

التيمم: القصد، قال الله - تعالى -: ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ [1].

والصعيد: ذات العبد وجسمه الترابى، وفيه إشارة إلى الصعود بمعنى الترقى، يقول: إن لم تكن من أهل هذا السر فكن من

(١) سورة البقرة: ٢٦٧.

القاصدين العاقدين أنفسهم على تحصيله، الجادين فى طلبه بالتقرب بالنوافل حتى يحبك الله، فإذا أحبك كان سمعك وبصرك إلى آخره كما أخبر الله تعالى بذلك عن نفسه ولا تتثبط وتهن وتيأس.

وإذا دمت على ذلك الطلب أدركت لا محالة دنيا وأخرى (إنما الأعمال بالنيات)، ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ (١)، ﴿والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضّل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم﴾ (٢) وإصلاحه بتجلى الحق فيه واتساعه حتى يسع الحق (لن يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن التقى النقى الورع).

قوله:-

الصعيد ذات العبد وجسمه الترابى

قال: [شيخنا وحيد عصره وفريد دهره العارف بالله تعالى سيدى الشيخ] صالح الجعفرى راجى عفو مولاه: لما تقدم أن ذا السر هو

(١) سورة النساء: ١٠٠.
(٢) سورة محمد: ٤، ٥.

الذى يتوضأ بماء الغيب، والذى تغلبت روحه على جسده فصار روحانيًا من عالم الغيب ساغ له أن يتطهر بماء الغيب، فهو الطاهر فى مرآه، الباطن فى مجلاه، معك وليس معك، وأنت معه ولست معه.

فإن لم تكن كذلك فاعلم أن جسدك الترابى تغلب على روحك النورانى فأمرك بالتوجه إلى الجسد لتصلحه بوضع الإكسير من واردات الذكر على كثافته حتى يشف، وعلى ثقله حتى يخف، وعلى نومه حتى يقل، وعلى عقله حتى يستنير.

ولذلك قال السيد أحمد - رضى الله تعالى عنه -:

وفيه إشارة إلى الصعود بمعنى الترقى، يقول: إن لم تكن من أهل هذا السر فكن من القاصدين العاقدين أنفسهم على تحصيله، الجادين فى طلبه بالتقرب بالنوافل حتى يحبك الله، فإذا أحبك كان سمعك وبصرك إلى آخره كما أخبر الله - تعالى - بذلك عن نفسه.

قلت:-

لا وصول إلى غيب
مع ارتكاب الذنب والعيب

أشار السيد أحمد بن إدريس - رضى الله تعالى عنه - إلى أنه لابد

للمريد القاصد من جد واجتهاد ، بلا كسل ولا رقاد ، حتى ينال ما ناله العارفون ، ويدرك ما أدركه المحققون .

فلا وصول إلى غيب مع ارتكاب الذنب والعيب ، ولا دنو للأوان إلا لأرباب الورد فى الأوان ، ولا وضوء بماء غيبهم ، إلا لمن شرب تسنيم شربهم ، فمن دفع المهور سيقت إليه الأجور .

ومن كان من الذاكرين الله كثيرًا عند المحراب ، وصف قدميه عند الميزاب ، تنزلت عليه غيوث الرحمة الرحمانية ، وغسلت قلبه بماء غيبها ، وسقاه الساقى من زمرمه شرابًا طهورًا ، فانتعش الجسم الترابى ، وامتلأ قلبه نورا ، وطاف بالبيت العتيق طواف الإفاضة ، بعد أن وقف بعرفات عرفانه ، وتنزلت على قلبه علوم من منبع فيضان الإفاضة ، وسعى من بيته إلى المسجد كلما دعى الداعى ، وقد أجاب داعى الله وسعى أحسن المساعى ، علم أن تيممه بالصعيد يستلزم القيام بالواجبات فأداها ، والترك للمنهيات فقلاها ، وأن النوافل سبيل الحب ، فأكثر من النوافل ، فسوق ليله بسوقه إليها فى ديجوره حافل ، وقد رآه الحق ــ سبحانه ــ مقبلا عليه بكليته فأتحفه عظيم عطيته بـ(كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به . . .) إلى آخر الصفات القربية ، فصار مظهرًا من المظاهر الغيبية .

ومعنى (**كنت سمعه**) يعنى يسمع عن الله لا عن الغير ؛ لأن الغير عنه غاب .

ومعنى (**كنت بصره الذى يبصر به**) يبصر فعل الله مكسوًا ببديع صنعته وباهر حكمته .

يذكره الليل إذا أظلم ما أغفله الغافلون ، والصبح إذا تنفس ما يلهو به اللاهون ، وتذكره الأرض إذا كسيت بكسائها الأخضر خضر الجنة .

وتذكره الثمار باختلاف ألوانها غاية المنة ، ويذكره اهتزاز الأشجار إذا هبت الرياح ، اهتزاز الأرواح للقاء الحق ـ سبحانه ــ بالعشى والصباح .

ويذكره اختلاف الألوان باختلاف الأرض فى طبقاتها ، وتذكره فصول الزمان اختلاف الكواكب فى دوراتها ، ولا يرى شيئًا إلا ويرى الله قبله ، ولا يرى لمخلوق فعلا ، غريقًا فى بحر: ﴿**هل من خالق غير الله**﴾ (١) مستبشرًا ببشرى ﴿**الله خالق كل شىء**﴾ (٢) مفكرًا فى التفصيل والبيان فى محكم القرآن ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ (٣) .

أيها المريد أطلق لفرسك العنان لتصل إلى الميدان

فأين أنت وأين عملك؟ ! وأين تفكيرك وأين أملك؟ ! هيهات هيهات تلاشت الأفكار يا أخانا فى هذا الميدان فلا سباق لفارس فيه ،

(١) سورة فاطر آية : ٣ (٢) سورة الزمر آية ٦٢ .
(٣) سورة الصافات آية : ٩٦ .

وغابت الأرواح عن الأشباح عند ظهور الحق ــ سبحانه وتعالى - وتجليه، وكلامى هذا واضح عند كل عارف يدريه.

فإن لم تكن منهم فانهض بجد واجتهد وأطلق لفرسك العنان، حتى تصل إلى هذا الميدان، فهناك أبواب وبوابون، وحجاب واقفون، فإذا وصلت إليهم استقبلوك ورحبوا بك وحيوك، ومن على فرسك أنزلوك وعلى كرسى العز أجلسوك، وقدموا لك شراب قوله - تعالى -: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[1] فلما شربته روحك اعتزت بربها، وتذكرت قول القطب الغوث السيد عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه: (بسم الله العزيز معتز بعلو عزه، وكل عزيز بعزة الله يعتز).

قال: [مولانا العارف بالله تعالى سيدى الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين]:

عزيز أعزَّ العارفين بعزِّه
وتوَّجهم بالعزِّ من بعد ما ذلُّوا
لباسهم التقوى وبالروح أقبلوا
على الله بالذكر الكثير وما ملُّوا
تذلَّل تبتَّل ثم قدِّم نوافلا
كمن عرفوا المحبوب فى ليلهم صلوا

(١) سورة المنافقون آية: ٨.

فكان لهم سمعًا وكانوا به له
على العهد قد وفَّوا وفى حبِّهم جلُّوا
فإن لم تكن منهم تيمَّم بصاعد
كمن جاهدوا للنفس حقًّا فما ذلُّوا
فإن شئت أن تحيى سعيدًا فهذه
سبيل ذوى الإسعاد ساروا وما ولوا
لأحمد ابن ادريس ورد كمزنة
فكم أخصبت أرض القلوب بما يحلو
فعرج على أحزابه وطريقه
فدنياك حَرٌّ والطريق هو الظلّ
ويأتيك إبن ادريس مهما أردته
فما غاب عن أهل الطريق وإن كلُّوا
وفى ورده من ورده لك ورده
لك العطر والياسمين والمسك والفلُّ
وريح لدنياك الدنيئة منتن
ولا جمع بين الحسن والقبح يا خلُّ

فمن طلب الدنيا رأيناه مبعدًا

ومن طلب الأخرى يجيء له الكلُّ

عباد الله هلموا إلى طريقنا

(وإلا تيمم بالصعيد) خذ بجسمك الترابى من الترح إلى التهليل العالى حتى يتهلل وجهك بالنور والفرح، وهو (لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) فإنه لا شىء مثلها لذنوبك يهدم، فهلم ثم هلم إلى طريقنا أقدم.

طريق الله يا ناس ما فيه غبار، يصلح لتاليه ويزيل عنه الأغيار، وايش يريد بالدنيا من طلق غواليها، الدنيا ملعونة وملعون كل ما فيها إلا ذكر الله والأنبياء والمرسلين والعلماء والمتعلمين والأولياء والعارفين المتقين والمسلمين والمؤمنين وكل وسيلة موصلة إلى الرحمن.

وماذا تريد من الدنيا يا إنسان، ما خطرت يومًا على قلوب من عرفوها، ولا من ربهم فى حضرة قربه طلبوها. سبحان الله! يا هذا ما أكل الجيفة إلا كلب عقور، ولا ضل الطريق إلا من فقد النور.

ويشتد الحال عند شم ريح الجيفة لمن تعود شم بخور المسك ودخانه، وللنجس دخان ولولا شمك ما ميزت بين الدخانين، ولولا إيمانك ونور بصيرتك ما ميزت بين الدارين، ولا اخترت حزب الله من الحزبين.

* * *

قوله:

﴿ وبالصخر ﴾

قال الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ:

الصخر هو العزم القوى الصلب الذى لالين فيه بوجه من الوجوه، والصبر لأن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، من صبر على الطلب بلغ الأرب ونال أعلى الرتب، ومن علت همته فى الله بلغت به إلى مناه.

قال: [سلطان المجبين وسراج الواصلين سيدى الغوث فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى غفر الله له آمين:

قوله: ـ

العزم القوى

أى اقصد العزم القوى فيكون إطلاق الصخر على العزم القوى فيه استعارة تصريحية كقوله: اقصد البحر فى حانوته أى الرجل الكريم، والعزم القوى هو النية، لأنها العزم على الشىء مقترنا بفعله، فكأنه يقول: إذا لم تكن ذا سر فعليك بفعل الصالحات، لأنها منبع السر، ولا تؤخر عزمًا لصحة مع الاستطاعة على العمل، كما قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه:

بطـــالـــة مـــا أخَّـــرت عـــزمًـــا لصحـــة

وكما قيل :

*** على قدر أهل العزم تأتى العزائم***

وقوة العزم تشعر بقوة الإيمان قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (**المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف**) أراد بالقوى : قوى الإيمان والروح والقلب لا قوة الجسد ، لأن قوة الجسد مع ضعف الإيمان لا قيمة لها .

ويدل على ما قال سيدى أحمد ـ رضى الله تعالى عنه ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾ (١) فلما أخذ الكتاب بقوة ونشاط وعزم استحق العطاء ، قال ـ تعالى ـ : ﴿**وآتيناه الحكم صبيًا**﴾(٢) فنال حكمًا وعلمًا ، قال ـ تعالى ـ : ﴿**وكلاً آتينا حكمًا وعلمًا**﴾ (٣) وقد جرت العادة على أن الإمداد على قدر الجهاد ، والجهاد على قدر الاستعداد ، والجهاد تتبعه الهداية إلى الطريق المقصود ، قال ـ تعالى ـ : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ (٤) وأجل الجهاد أسماه وأفضله وأعلاه .

وجد بخط سيدى محمد بن على السنوسى على أحزابه ما نصه : وجد بخط المؤلف أى سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

(١) سورة مريم : ١٢ .
(٢) سورة مريم : ١٢ .
(٣) سورة الأنبياء : ٧٩ .
(٤) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(الصدق سيف لا ينبو ، وجواد لا يكبو ، وهو السلطان الأعظم فى الإرادة ، فإن تمكن فى مملكته لا يقف لصاحبه شىء ، فلذلك وقع الابتداء به) .

قال : [سلطان العارفين وشيخ المادحين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدى الشيخ] صالح الجعفرى : كان الله له معينًا ومنجيًا آمين .

شبه السيد أحمد رضى الله تعالى عنه الصدق بالجواد القوى الذى يسرع بصاحبه إلى المقصود ، لأنه يلزم من التصديق بالجنة الصدق ويلزم منه المسارعة إلى المصدق به ، فالصدق جواد قوى ، وسيف بتار .

أيها المريد جاهد تشاهد

فاركب جوادك يا عبد الله وادخل به ميدان الرجال ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾(١) .

واضرب بسيفك شيطانك وأهواء نفسك ، مجاهدًا بكتاب ربك ﴿**وجاهدهم به جهادًا كبيرًا**﴾ (٢) أى بالقرآن حتى تكتب مع الذين عرفوا الحق ولازموا الأوراد ، وجاهدوا فى سبيل ربهم حق الجهاد ﴿**وجاهدوا فى الله حق جهاده**﴾(٣) .

(١) سورة الأحزاب : ٢٣ .
(٢) سورة الفرقان : ٥٢ .
(٣) سورة الحج : ٧٨ .

فمن جاهـد حق الجهاد فقد بلغ الـوداد، ومن بلغ الوداد وصل إلى المراد، ومن وصل إلى المراد فقد المراد، ومن فقد المراد ركب الجياد، ومن ركب الجيـاد جاهـد حق الجهـاد وأشهر البتـار، ومن أخذ البتـار كشفت له الأستـار، وظهرت له الأنوار، وخـاض من الحب المعامع، ماله من دافع، وقلد سيف الرهبة والهيبة، فتارة بمكة وتارة بطيبة، وتارة فى شخوص وتارة فى غض، وتـارة فى بسط وتارة فى قبض، وتارة فى مقام الصدق العلى كعلىّ، وتارة فى مقام السماع الإلهى.

فعليك بطريقنا هـذا الذى من أخذه كان فى كفالـة من منه امتدت جـداويل جميع الإلهيين صلى الله عليه وآلـه وسلم لتكـون عبدًا إلهيًا ربانيًا محضـا من جميع الوجوه، حتى تنظر إلى الدنيـا نظر المستريب ليظهر لك السر العجيب.

فما سـر ظهر لمن إليها نظـر، ولا كشفت الحجب لمن طلب فيها الرتب، ولا جالس أهل الحضـرة الإلهية من جالس أهل الدنيـا بالمحبة القلبية.

ولقد نفضنا قلبنـا منها نفض القديد، ذهبهـا عندى كالحديد، ـ إن شاء الله تعـالى ـ لا أغتر بها كمن غـرتهم، وأشغل بها كمن شغلتهم، وأراك لاتـزال تخـوض لججهـا كـالخـائضين، وتأكل غثهـا وسمينهـا كالآكلين، فمهما كتبت ومهما ألفت فإنا نرى منك مالا تراه أنت.

أفق من غفلتك وأنـانيتك، وعليك بأحـزابنا التى تغسل قلبك بمـاء

الغيب، وتجعلك ذا سر وبـر، فما طلبته مـن أمر آخرتك ففى بحـارها الزاخرة، ومـا طلبته من أمور دنياك ففى جـواهرها المتناثـرة، فما أسوأ حظ من تكاسل عن خير أخراه، وما أشغله عن ذلك إلا شيطانه وهواه.

فلا أراك بعـد هذا الحال إلا أن توالينـا موالاة الروح للجسـد، ولقد طال زمان معرفتك بنا، وإنا لنأسف غاية الأسف عليك إذ لم تشرب من شـربنـا، فمـا أعـددنـاه إلا لأمثـالك، فجـرد قلبك عن حبك لنفسك ومـالك، ولا تعتمد على مـا درستـه من علـوم، ولا على إقبال النـاس عليك، فإنما الإقبال هو إقبال الحق عليك وإقبالك عليه.

أما آن لك أن تجـول بروحك فى الأحـزاب الخمس التى هى بعدد الصلوات الخمس، وما أثقلها إلا على من خشع، ومـا أبعد معانيها إلا لمن اتبع.

أيها المريـد

ليس لنا من معول إلا على الواحد الأحـد

فاتبع مـا بلغك من حالنا وتخلق بـه، وما حالنا إلا الكتـاب والسنة فهل أنت كذلك؟ ولقد فررنا من ملكهـا ووظائفها فرارك من الأسد، ولم يكن لنا معول إلا على الواحد الأحـد، وكان حظنا منها ما بلغك، فهل بلغت به مـا أردت؟ أم تريد أن تصل بغيـر ما بلغك عن شيخك؟! فإن قوافله سارت مشرقة وسرت مغربًا.

فروحنا مع من يشبه روحنا، وحالنا مع من يشبه حالنا، فهيء روحك لذلك، ودعك من وسواسك وخيالك، فلو كشف لك الحجاب لرأيت العجب العجاب.

وإنى لأرجو الله بما رجوته لإخوانك ممن توجهوا إلى ذلك الورد الصافى الأحمدى المحمدى ففتحت لهم أبواب نفائسه بعلمه النفيس، فلا غرابة فإنه ورد ابن إدريس، كان الله لك ولإخوانك معيناً وآخذا بكم إلى مشاهدته التى تؤهلكم إلى مراقبته فى جميع أحوالكم آمين.

فما صلينا فيها بالأجرة، ولا شغلنا عن شهوده كسوة، ولا مال قلبنا إلى زهو، ولا لهانا عن الحق لهو، فجاهد نفسك للتخلص من جميع ذلك لتصل إلى مناك، فقد آن وقت رحيلك، فما خلد فيها من سبقك، وإلى متى أنت مشغول بدنياك والجهاد عليك ؟!.

واعلم بأن راحتك فى مد راحتك إلى خير من تمد إليه الأيدى، واجعلها عن مدها إلى سواه فى قيد، فإذا مددتها إليه كسيت العزة، وإلى غيره كسيت الذلة، فشتان بين عز وذل ومفضال وكلّ.

إيش هذا النوم الكثير كأنك قد خلقت للطعام والمنام؟ إذا لم تصم أنت فمن الذى يصوم؟ وإذا لم تقم أنت فمن الذى يقوم؟

أيقوم الأعراب سكان البوادى ؟! أم قطاع الطريق وأرباب النوادى؟ ! .

كيف تركته وما تركناه ؟ وكيف هجرته وما هجرناه ؟ فهو طريقنا وعليه المعول فى الوصول، فما عندنا من بدع لكن مبدعات، ولا خرافات ولكن حكم بينات، أين القرآن ؟ أين القرآن؟ أين أنت من القرآن؟ أين أنت من القرآن؟ أين أنت من ابن إدريس ؟ أين أنت من ابن إدريس؟ أين أنت من ابن إدريس؟ أين أنت من ابن إدريس؟ إيش هذا الحال ! إيش هذا الحال!

حالك ما يعجب يا نوام
أترك منامك
إيش كتبوا لك بالأقلام
أقلل كلامك
أجزل فى الإنعام للأرحام
تلق مرامك
صل كثيراً مدى الأيام
شاهد إمامك
على النبى خير الأنام
يسمع سلامك

والصبر: باؤه بذل، وهو بذل الأنفس والمهج، ونزع الضيق والحرج، لفتح أبواب الفرج، وشم نسيم الأرج، فما خاب من بذل، والممسك عن هذا ذل، وإن هددوا بالقتل حنوا.

قال: [سيدى التقى النقى الخفى] الراجى رحمة ربه العلى[سيدنا ومولانا الشيخ صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه]:

ومشارب الأولياء تختلف، فمن ذلك ما نقله العارف بالله ـ تعالى ـ أبو بكر محمد بن إسحاق البخارى الكلاباذى (المتوفى سنة ٣٨٠ هـ).

قال: سمعت أبا القاسم البغدادي يقول: سمعت الدروى يقول: كنا ليلة العيد مع أبى الحسن النورى فى مسجد الشونيزى، فدخل علينا إنسان فقال للنورى: أيها الشيخ غدًا العيد ماذا أنت لابسه؟ فأنشأ يقول:

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه

فقلت خلعة ساق عبده جرعا

فقر وصبر هما ثوباى تحتهما

قلب يرى ربَّه الأعياد والجمعا

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بها

يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا

الدهر لى مأتم إن غبت يا أملى

والعيد ما دمت لى مرأى ومستمعا

قال: [سيدنا ومولانا عالم زمانه وغوث أوانه فضيلة الشيخ صالح] الجعفرى عفا الله عنه [ونفعنا به آمين].

لما سألوا الشيخ عن ثياب العيد أجابهم بأنه أعد الكسوة التى تكرم بها عليه خالقه وهى خير لباس، قال تعالى: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾(١) ومن ضمن ما نسج به هذا الثوب الفقر إلى الله ـ تعالى ـ فى جميع الأمور (**اللهم إنى أعوذ بك من الفقر إلا إليك**)، وصبر على بلاء الله ـ تعالى ـ وقضائه وقدره، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾ (٢) وتحت الثوبين قلب يرى رضاء ربه عليه هو الأعياد والجمع، ويقول: خير الملابس للقاء الله ـ تعالى ـ الثوب الذى خلعه عليك فى الحياة الدنيا، فمن كساه الله فى حياته لباس التقوى لقيه به بعد مماته، وكان عنده من المكرمين ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ (٣). ويقول: حياتى كلها حزن ومأتم إن غاب الشهود الإلهى عن قلبى، وأنا فى عيد وفرح وسرور ما دام الشهود الإلهى لى مرأى ﴿**أو لم ينظروا فى ملكوت السمٰوات والأرض**﴾ (٤) ومستمعا ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾ (٥).

(١) سورة الأعراف: ٢٦.
(٢) سورة الزمر: ١٠.
(٣) سورة الحجرات: ١٣.
(٤) سورة الأعراف: ١٨٥.
(٥) سورة الزمر: ١٨

وقد وجدت بخط الشيخ عمار التونسى نقلا عن الشيخ الزرقانى ما نصه : الشيخ معروف بن فيروز الكرخى نسبة إلى كرخ بغداد من المشايخ الكبار شيخ السلسلة ، أستاذ السرى السقطى ، كان ابن حنبل وابن معين يختلفان إليه ، ولم يكن فى علم الظاهر مثلهما ، فيقال لهما : مثلكما يفعل مثل ذلك؟ فيقولان : كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (**سلوا الصالحين**) كان أبواه نصرانيين فسلماه للمعلم طفلا فقال : قل : ثالث ثلاثة . فيقول : بل إله واحد ، فضربه ضربًا مبرحًا ، فهرب وأسلم .

وهو من موالى السيد على بن موسى الرضا ، وأسند الحديث عن جمع ، وكان مجاب الدعوة ، وكراماته وفوائده كثيرة ، وكان يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل ، فيقال له : إن أخاك بشرًا الحافى لا يأكل فقال : إن أخى حبسه الورع ، وأنا بسطتنى المعرفة ، إنما أنا ضيف فى دار مولاى مهما أطعمنى أكلت ، مات سنة مائتين وقيل : إحدى ومائتين ، والدعاء عند قبره ببغداد مجرب ، يقال : من قرأ عنده مائة مرة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ [1] وسأل الله ما يريد قضيت حاجته ، ومثله إذا وقف الزائر بين قبر أشهب وابن القاسم رضى الله تعالى عنهما بالقرافة ويقرأ سورة الإخلاص مائة مرة ويدعو مستقبلا القبلة يستجاب له . اهـ عن الشيخ الزرقانى رحمه الله فى شرحه على المواهب اللدنية .

(١) أى سورة الإخلاص بكامل آياتها .

قال [حبيبنا قرة العين وراحة الفؤاد موضح غوامض علوم الصوفية سيدى الشيخ صالح] الجعفرى [رضى الله تعالى عنه ونفعنا بعلومه وأسراره آمين] : والصبر : باؤه إشارة إلى باب الله ، فمن صبر عند قرع باب الله تعالى ظفر ، قال الشاعر :

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وباب الله تعالى هو الباب الذى من دخله نال جنة المشاهدة فى الدنيا وجنة النعيم فى الآخرة ، ولكنه يحتاج إلى صبر (حفّت الجنة بالمكاره) .

قال ابن الفارض ـ رحمه الله تعالى ـ :

فقلت لها يا قرة العين هل إلى
لقاك سبيل ليس فيه موانع

فالحاسم للموانع هو الصبر ، فمن صبر فقد أزال الموانع ، ورفعت له البراقع ، فيظل ما بين راكع وساجد ، وقلبه معلق بالمساجد ﴿**تراهم ركعًا سجدًا**﴾ [1] .

والراء رحمة الله ـ تعالى ـ لأن من دخل بابه وجد رحمته ، ولها الأسبقية لمن استبقوا الخيرات (**سبقت رحمتى غضبى**) ، ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ [2] ، ﴿**والسابقون السابقون * أولئك المقربون**﴾ [3] ،

(١) سورة الفتح : ٢٩ .
(٢) سورة البقرة : ١٤٨ .
(٣) سورة الواقعة : ١٠ ، ١١ .

﴿ففروا إلى الله﴾ (١) أدخلوا بابه تجدوا رحمته فهو أرحم الراحمين .

والصبر للنفس كالعقل ، فمن لا عقل له فهو مجنون ، ومن لا صبر له فهو كالمجنون ، ولذلك ما من نبى إلا وقد صبر .

قـولـه : ـ

لأن الصبـر من الأمور بمنـزلة الرأس من الجسـد

قلـت : لأن الصبـر كالحياة ، وجسد بلا رأس ميت ، فـالصبر حياة وعدمه موت ، كالرجل الـذى رجع من الجهاد وقد آلمته الجراحات فلم يصبر فقتل نفسه ، فكان قتله بفقد صبره .

وقوله :

فمن صبـر على الطلـب بلـغ الأرب

جعل السيـد ـ رضى الله تعـالـى عنـه ـ السبيل المـوصل لقضـاء الحاجات هو الصبر ، فمن سلكه وصل لمقصده وناله ، ومن لم يسلكه ضل الطريق .

وقوله :

ونـال أعلـى الرتـب

(١) سـورة الذاريات : ٥٠ .

لقـولـه صلى الله عليـه وآلـه وسلم (**واعلم أن النصـر مع الصبر**) والدرجات والرتب متوقفة على مخالفة النفس ، والمخالفة متوقفة على الصبر ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **إذا جاء نصـر الله والفتح** ﴾ (١) فالصبر أولا ، والنصر ثانيًا ، والفتح ثالثًا .

وقولـه :

ومن علت همته فى الله بلغت به إلى مناه

قلت : قـال رسول الله صلـى الله عليه وآلـه وسلم : (**علو الهمة من الإيمان**) . وفى كـلام الشـريف سيـدى أحمـد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنـه ـ إلى تلميـذه الشريف سيـدى محمد عثمـان الميرغنى ـ رضى الله عنـه ـ فى خطـاب أرسله إليـه (يا بنى أعنى على نفسك بعلـو همتك) اهـ .

واعلم يا أخانا أن علو الهمة يبلغ بصاحبه إلى القمة ، فإذا علت فقد علا بها صاحبها ، وعلوها بالله وفى الله ، وهى التوجه الخالص المحض إلى حضرة الحق ـ سبحـانه ـ ، كما قال سيـدى أحمد رضى الله تعالى عنه :

شغلت بحسن وجهكم عن شواغلى .

(١) سـورة النصر : ١ .

وكما قال ـ رضى الله تعالى عنه ـ :

ولم يبق لى جسم يلـــذُّ بغيـــركم

كأنى بـــالعـــرش المجيـــد معلَّق

وهكذا يا عبد الله كلما علت همتك طهرت ذمتك، وكلما ازددت فى الطاعات علوت فى الدرجات، علو فى الحياة وفى الممات، قال تعالى : ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ (١).

واعلم أن روحك أنزلت من السماء وجسدك من الأرض، فإن عملت بما أنزله الله من السماء رفعت أعمالك إلى السماء، وتاقت روحك إلى العلياء، وإن لم تعمل به أخلد جسمك بروحك وعملك إلى الأرض، فلا تفتح لك ولا لعملك أبواب السماء.

فمن كانت همته فى الأرض فهو فيها وإن كان يمشى عليها، ومن كانت همته فى عبادة رب السماء متشبها بسكانها فهو فيها وإن كان بالغبراء، فلا غرابة إذا خرقت له العوائد، ونوعت له الموائد، فقد هام بهمته، وذاق كأس محبته، وقدح زناد قلبه بزاد الشوق، فاستنارت جوانبه، فصارت الجمادات تخاطبه، وتلا الشفاء، فشفا قلبَه فشف، ونهَّض جسمه فخف، فجاهد فشاهد سبل ربه فهدى إليها بالله، قال ـ تعالى ـ : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ (٢).

(١) سورة المجادلة : ١١ .
(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .

فكم لله من مجاهد، وكم له من مشاهد، وكم لله من عارفين، وكم له من قائمين.

فحرك بعلو همتك زمام راحلتك، لعل بذلك تتحرك أعمالك برياح شوقك، فتضطرب أمواج بحر عملك مخلصًا للديان فيخرج، منه اللؤلؤ والمرجان، فتتلألأ عرائس أعمالك، وتتحلى بلؤلؤك ومرجانك، وتتوج بقمر إسلامك وإيمانك، فتسمع النداء الحق من الملك الحق﴿**هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ *من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب**﴾ (١).

قال الشريف السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ قوله :

﴿ وقدم إمامًا كنت أنت أمامه ﴾

الإمام المطلق هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (٢)، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ (٣) ومن أحبه الله كان سمعه وبصره كما يليق به.

قال العبد الفقير [إلى ربه القدير السيد الشريف سيدنا ومولانا الشيخ صالح] الجعفرى [رضى الله تعالى عنه]:

(١) سورة ق : ٣٢، ٣٣ .
(٢) سورة آل عمران : ٣١ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٨ .

الإمام : المتقدم على غيره، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم إمام المخلوقات ، لأنه أول ما خلق الله نوره صلى الله عليه وآله وسلم **(أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر)** أخرجه الحافظ عبد الرزاق فى مسنده .

وهو صلى الله عليه وآله وسلم أول النبيين، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **(كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد)** أخرجه الترمذى ، وقد صلى بجميع الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ ليلة الإسراء . أخرجه البخارى وغيره .

وأيضًا فهو صلى الله عليه وآله وسلم يؤم ويقصد يوم القيامة للشفاعة ، وأيضًا يؤم ويقصد للاستغفار، قال تعالى : **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾** [1] وأيضًا يؤم ويقصد صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام المقرون بالنداء مع التفخيم فى كل صلاة(السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) .

واعلم يا عبد الله وافتح مسامع قلبك لما سيلقى عليك أن القبلة قبلتان : قبلة الجسد وهى الكعبة المشرفة وصحة الصلاة ظاهرًا متوقفة على التوجه إلى الكعبة ، وصحتها باطنا [2] متوقفة على توجه الروح إليه صلى الله عليه وآله وسلم، فيلاحظ فى بدء صلاته أنه متوجه إلى

(١) سورة النساء : ٦٤ .
(٢) وهى قبلة الروح .

الكعبة ، ويلاحظ فى ختامها أنه متوجه إليه صلى الله عليه وآله وسلم .

فهذا بيت الله وأمر الله تعالى استقباله ، قال تعالى : **﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** [1] وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى جعل الله تعالى بيعته بيعته وطاعته كذلك ، قال الله تعالى : **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾** [2] ، **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾** [3] وهو صلى الله عليه وآله وسلم الوسيلة المقبولة الذى إذا توسل به الظالم لنفسه وجد الله توابًا رحيمًا ، فكيف يكون حال الطائع ؟!

وكأننا فى صلاتنا نجىء إليه صلى الله عليه وآله وسلم مسلمين لنجد الله توابًا رحيمًا ، وسلامك يبلغه صلى الله عليه وآله وسلم كما فى صحيح البخارى : **(إن هذا السلام)** الذى فى التشهد **(يبلغ كل عبد صالح لله من أهل السماء والأرض)** والنبى صلى الله عليه وآله وسلم خير الصالحين وإمامهم ، وتحصل بذلك فوائد :

الأولى : أنه عليه الصلاة والسلام يشهد لك بأنك تصلى وأكرم بها من شهادة .

الثانية : أنه يرد عليك السلام .

(١) سورة البقرة آية : ١٤٤ ، ١٥٠ .
(٢) سورة الفتح آية : ١٠ .
(٣) سورة النساء آية : ٨٠ .

الثالثة : أن الدعاء منه صلى الله عليه وآله وسلم مستجاب ، والسلام دعاء .

الرابعة : أنك تكون آمنا فى الدنيا والآخرة ؛ إذ السلام معناه الأمان .

الخامسة : تنالك رحمة الله تعالى فى الدنيا والآخرة .

السادسة : تنالك بركة الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، وذلك عام لك ولأهلك وأولادك وأموالك .

وهكذا شاهدنا حال المصلين فى الدنيا مبعدين عن الهلع والجزع والبخل ، قال تعالى : ﴿**إن الإنسان خلق هلوعًا * إذا مسه الشر جزوعًا * وإذا مسه الخير منوعًا * إلا المصلين**﴾ (١) لأن بركات دعائه صلى الله عليه وآله وسلم حاصلة لهم ، ولا ينكر ذلك إلا مكابر ، وكيف لا يكون كذلك وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين؟ قال تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ (٢) والمصلون فى أوائل المرحومين به صلى الله عليه وآله وسلم قلت : بفضل ربى تعالى فى إحدى قصائد الكتاب المسمى :

(المدائح المقبولة) (٣)

رسول الله قد أنزلت رحلى

ببابك والسلام عليك منى

---

(١) سورة المعارج : ١٩ : ٢٢ . (٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) أدرجت قصائد هذا الكتاب فى ديوان الجعفرى .

لعلمى أنك الحصن المعلى

فنعم الحال والمختار حصنى

لأنك رحمة الرحمن عمت

جميع الخلق من إنس وجن

وروضته الشريفة يا أخانا

تسرُّ القلب من هم وحزن

بها روح وريحان ونور

بها سعدى وإرشادى ويمنى

بها المختار بسامات تراه

يحيى الزائرين بكل أمن

يبشرهم بما جاءوا إليه

ويشفع للجميع بلا تأنى (١)

وقلت فى الرائية (٢) :

يا رحمة الله عمت كل كائنة

فى العالمين وفضل الله ينتشر

---

(١) انظر ديوان الجعفرى ٦ / ٩٤٥ .

(٢) أدرجت هذه القصيدة فى ديوان الجعفرى ، فانظرها ص ٣٢٩ من الجزء الثانى .

وقلت بفضل ربى تعالى [1] :

إن الصلاة صلة الإنسان
تاركها يكون فى حرمان
توصل العبد إلى مولاه
وعن قبيح فعله تنهاه
قبلتها الكعبة للأشباح
والهاشمى قبلة الأرواح
والله مولانا العظيم الأكبر
منزه عن كل شىء يخطر
تشهده بالقلب لا بالعين
منزه عن زمن وأين
فيدرك الأبصار والقلوبا
وكل مخلوق يرى محجوبا
عن أن يراه أو يرى مثالاً
جل إله العرش قل تعالى

(١) انظر ديوان الجعفرى ١٢ / ٦٣ : ٦٦ .

ويشهد النبى بالصلاة
لكل من صلى من الهداة
ويبلغ السلام للمختار
يرده بالحب فى وقار
فيحصل الأمان بالرحمات
لكل من صلى وبالبركات
فى نفسه وأهله وماله
ورزقه كذاك فى عياله
ولا يكون هلعا جزوعا
مضطربا معسرا منوعا
وذاك من أجل النبى يرحم
فى هذه الدنيا به ويُكرم
لولاه ما صمنا ولا صلينا
ولا عرفنا الله واهتدينا
بيعته البيعة للرحمن
طاعته الطاعة للديان

أبشر به يا من أزال الرانا

وانظر له فإنه يرانا

وهذه نهاية الطريق

لإبن إدريس على التحقيق

منه إليه فى مقام القرب

منك إليه فى مقام الحب

وسالك هذا الطريق قد يصل

فى مدة وجيزة وينفصل

عن سائر الأغيار بالأنوار

لا سيما فى حضرة المختار

فاكتم أخانا السر عن سوانا

واشكر إله العرش إذ هدانا

أحزابنا الجنة والشهود

ياشهدها المشهود والموجود

يا عزها لمن أعز الله

ياغيثها لزاهد تلاها

يا خيرها لمن خلا فؤاده

يا ودها لمن نما وداده

يا بحرها الزاخر بالمعانى

ممزوجة بدرر القرآن

يا نورها الوضاء فى الظلام

يا بدرها الموصوف بالتمام

يا حسرتى على الذى تلاها

ولم يلح لقلبه سناها

أيش الذى يبغيه من دنياه

والرازق المعبود قد كفاه

يا أيها المريد يا أخانا

يا من أحب وردنا أتانا

أيش الذى دعاك أن تميدا

بعد ظهور الحق أو تحيدا

ما عندنا لهو ولا غرور

ولا خرافات ولا ظهور

بل عندنا الله هو المقصود

الواحد الموجود والمعبود

فى حضرة المختار خير الخلق

مستغرقًا مشاهدا للحق

فشهدنا شهد عظيم المنة

فى سور القرآن ثم السنة

وشيخنا يزأر كالأسود

وينظر الآخذ فى الورود

كأنه الشمس له شعاع

والمنكرون سره قد ضاعوا

شيخ الشيوخ فارس الميدان

فذاك إبن ادريس ذو العرفان

إن كنت قد سلكت للطريقة

لابد يوما أن ترى الحقيقة

وشيخنا فيها هو النبى

هذا طريق ورده سنى

يا أيها الناس إلى طريقى

تقدموا لتشربوا رحيقى

يا طالب الدنيا فعنا ولى

ما نقبل المغرور فى التجلى

ما نقبل المدفون فى هواه

ولا بنو طريقنا ترضاه

إيش حال من يقلبها لعاب

فحاله مآله سراب

نريدها أخرى وذا يريد

حطام دنياه فذا تبديد

اسمع كلامى لا تخالف فنى

يا طالب الدنيا فبعدا عنى

ومنهج الشيخ هو الأحزاب

سيرته السنة والكتاب

وكل ما خالف لا نرضاه

فاحذر من التغيير أن تهواه

اتم صـــــلاة الله بـــــالســـــلام

على النبى أحمـــــــد الإمـــــام

وآلـــــه والتـــــابعين السنـــــة

والحمـــــــد لله عظيـم المنـــــة

مـــا الجعفـــرى سأل الـــرحمنَ

مغفـــرة ورحمـــة أمـــانـــا

***

قال سيدى صاحب العلم النفيس أبو العباس السيد أحمد بن إدريس الشريف الحسنى رضى الله عنه :

قوله :

﴿ كنت أنت أمامه ﴾

أى صيَّرت نفسك أمامه وخلفته وراءك باتباعك هواك

قال راجى عفو مولاه [وملانا وذخرنا وملاذنا شيخنا فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين] :

الإمام يقتدى به، ومن تقدم عليه فقد تعدى ، فإذا تاب فقد رجع واقتدى بإمامه، وهذا كناية عن عدم العمل بالشريعة الغراء، وأما عند الفقهاء فالتقدم ممتنع عند الشافعية، وكره عند المالكية بلا عذر، ثم بين أن التخلف هنا ليس على حقيقته بقوله : باتباعك لنفسك وهواك .

قال تعالى : ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (٢) والهوى نوع من أنواع رغبات النفس، قال تعالى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ (٣) .

قال البرعى ـ رحمه الله ـ :

وخـــالف النفس فى هـــواهـــا

إن اتبـــاع الهـــوى هـــوان

وقال الشاعر:

نـــون الهـــوان من الهـــوى مســـروقـــة

فـإذا هـــويت فقـــد لقيت هـــوانـــا

وقلـــت :

إحـــذر هـــواك فـإنـــه يهـــوى بمن

ملك الهـــوى أعنـــاقهم فى الهـــاويـــة

(١) سورة يوسف : ٥٣ .
(٢) سورة ص : ٢٦ .
(٣) سورة النجم : ٢٣ .

إن القـــوَّى هـــو الـــذى غلب الهـــوى

ليس الـــذى غلب الأســـود الضـــاريـــة

كم من مـــريـــد قـــد أضـــرَّ بـــه الهـــوى

لـــو كـــان يعقل مـــا تمنى الفـــانيـــة

واعلم أن النفس على قسمين: نفس تتبع الهوى، وهى الأمارة بالسوء قال تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ (١).

ونفس تائبة راجعة إلى ربها وهى المرحومة بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إلا ما رحم ربى﴾ (١) ومن أجلّ الرحمات دخولها تحت قول سيدى أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه: (وقدم إماما كنت أنت أمامه) وفى هذا المقام ينال مقام المتابعة، ثم الوراثة، ثم الفيوضات، ثم المكاشفات، ثم المشاهدات الخارجة عن المحسوسات والمعقولات، وهناك يترنم الروح الموهوب. بقول المحب المحبوب:

زدنى بفـــرط الحب فيك تحيُّـــرا

وارحم حشـــا بلظى هـــواك تسعـــرا

وهناك يا أخانا لو رأيت القوافل القافلة، فى الميادين الحافلة، عند

(١) سورة يوسف: ٥٣.

وراء ما وراء العقول العاقلة، لأمسكت لجام جوادك، حتى تحفل بأورادك، فما جُنِّد غيرُ مُجنِّدٍ لنفسه، خارج إلى يقينه عن حسه، وعن حدسه إلى حظيرة قدسه، ما وضع قدمه فيها مضطرب الأقدام، ولا من أضاع السهر والقيام، ولا من لم يسمع أنغام طيور عدنه، سماعا ربانيا بأذنه، فتطربه الأنغام طربا يسوقه إلى الأمام، هناك الهناء والمنافع، أو غرد قمرى على الأيك ساجع:

فأذنـى لم تسمـع ســوى نغمـــة الهـــوى

وإنـى منكـم لا من الطيـــر ســـامـع

ولاح للروح من جانب الغور لائح، وفاحت لها بالرقمتين روائح فتحركت الروح تحرك الولهان، وغاب صاحبها عن الزمان والمكان فنادى فى حضرة ذكره مع المحافظة على سره: (الله. الله).

خـل الغـــرام لصـب دمعـــه دمـــه

حيـــران تـــوجـــده الـــذكـــرى وتعـــدمـــه

وذلك هو سيدى صاحب المقام العالى: السيد محمد الشريف بن سيدى عبد العالى، رضى الله تعالى عنهما وأرضاهما، وجعل الجنة متقلبهما ومثواهما.

* * *

قال السيد الشريف سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

لأن من لم يكن من أهل هذا الشأن يصيب تارة ويخطىء تارة لكونه لا يدرى شيئًا ولم يسلك سبيلا ، فضلا عن أن يقفو أثرًا ويضع القدم موضع القدم بتقديم الإمام ، ولا يعلم أنه تقدم ، وإن تلاه فإنما يتلوه بطريق الاتفاق لأن من شأنه ذلك فهو مطلق غير مقيد بالإمام لعدم رؤيته ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾[1] فليس من الذين قيل فيهم : (إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) لأنه إلى الآن لم يؤت النور.

قوله رضى الله تعالى عنه :

لأن من لم يكن من أهل هذا الشأن يصيب تارة ويخطىء تارة لكونه لا يدرى شيئًا .

قال راجى رحمة ربه ومغفرته وعافيته وعفوه [سلطان المحبين والمادحين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدى الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه] :

(١) سورة النور: ٤٠ .

يشرح السيد الشريف رضى الله تعالى عنه حال المتقين الذين ليسوا من أهل المشاهدة وأنهم يصيبون تارة ويخطئون تارة ، وقد جعل إصابتهم اتفاقية ، لأنها ليست عن مشاهدة ، لذلك نزلها منزلة العدم وحكم على صاحبها بأنه قد تقدم على إمامه .

وعلل ذلك بعدم الرؤية ، وضرب له المثل بالأعمى .

ويؤخذ من كلامه أن أرباب المشاهدات لا يخطئون وإن كانوا غير معصومين ، وذلك بسبب قربهم من المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومشاهدتهم له واجتماعهم به فى جميع أحوالهم ، كما قال سيدى الشفا سلالة المصطفى ، أبو محمد سيدى ومولاى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه فى صلاته العظيمية : (واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ، ظاهرا وباطنا ، يقظة ومنامًا ، واجعله يا رب روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم) .

وقال رضى الله تعالى عنه : (وتجل لى يا إلهى بحلاوة الإيمان ولذة التقوى) .

وانظر يا عبد الله إلى هذا الكلام العجيب الغريب ، واستمع إليه سماع منصت أريب : إعلم أن حلاوة الإيمان قد أدركتها الأرواح بواسطة الخطاب الأزلى حينما قالوا : (بلى) وقد أشار إليها سيدى سلطان

العاشقين عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه بقوله :

ولى فى هـــواهـــا نشـــوة قبل نشأتى

ستبقى معى أبـــــدا وإن بلى الجسم

لأن العاشقين للذات الأقدس قالوها بفرح وسرور ونشوة ، لأنهم سمعوا خطاب الحبيب ، كما قال سيدى الغوث أبو مدين رضى الله تعالى عنه :

فلـــو سمعت أذنـــاك حلـــو خطـــابنـــا

لمت غـــرامـــا واشتيـــاقـــا لـــوصلنـــا

وحلاوة تدركها الروح عند سماع الخطاب الثانى وهو القرآن ، وهى تتفاوت بحسب مقامات الرجال ، وأجلها ما أشار إليه سيدنا الشريف الصفى الوفى الرضى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله : (حتى أتلوه بلسانه الذى يتكلم به) .

* * *

أقبلوا علينا عباد الله

إيش تقول يا أخانا فى هذا المقام ، والله ما يدرك إلا بالأذواق ، التى تتضاءل معها سعة الأوراق ، أقبلوا علينا عباد الله إلى ما دعوناكم إليه ، فما دعوناكم إلا إلى الكنز المطلسم والسر المخزون والعلم المكنون .

فتلاوة القرآن بهذا الحال تتضاءل أمامها الجبال ، وإنه لحال ونعم الحال ، شرود عن نؤوم الرجال ، فما عرفوه حتى تركوه ، كالبائعين لسيدنا يوسف عليه السلام لو عرفوه ما باعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ، وهكذا الحجاب يقلب الحقائق حتى لا يفرق صاحبه بين التبر والتراب .

لو دخلت حظيرة الشريف ابن إدريس صاحب العلم النفيس وتأملت فيما قاله واقتديت بفعاله ، وتلوت الذكر الحكيم : بلسانه الذى يتكلم به لشربت من رحيق التسنيم ، ولكنك باعدت بين جوادك وجواده ، ووادك ووداده ، فأرخى عنان فرسه فى نيل المعالى فنالها فهنيئا له أبو محمد أبو عبد العالى ، وأرخيت عنان فرسك لجمع الحطام والمال .

ما نهضتك أحزابنا وهى تنهض الشامخات الرواسخ ، ولا وجهت قلبك يومًا إلى الالتفات إلى العز الباذخ .

فكم فيها من توجيهات للمتوجهين ، وتجليات للمتأهبين ، فهى كأعمال المجاهدين فى سبيل الله ، زرعها فى يوم وفيه حصاده ، فازرعوا عباد الله وآتوا حقه يوم حصاده ، فما هى إلا جواهر كلمات جمعت فى عقد نفيس ، لاتباع ولا تشترى ولا توجد إلا عند ابن إدريس ، ما غاب عنك أجل وأرقى مما حضر ﴿**إن المتقين فى جنات ونهر * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ (١) .

---

(١) سورة القمر : ٥٤ ، ٥٥ .

قد أشار ابن الفارض رضى الله تعالى عنه إلى هذه الحلاوة بقوله فى آخر الفائية : يا أخت سعد ... إلخ [1] .

وحلاوة تحصل بواسطة التجلى الإلهى ، وهى التى أشار إليها السيد ابن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله : (بحلاوة الإيمان) .

قلت : وهذا التجلى يتبعه لذة التقوى لأن الحلاوة إذا وضعت على اللسان ذاق طعمها وتلذذ بها .

فحلاوة الإيمان الحاصلة بواسطة التجلى الإلهى تجعل امتثال الأوامر واجتناب النواهى لذتهم للمتابعة ، ولذلك قدموا إمامهم أمامهم وكانوا مقتدين به ، فيدخلون فى قول الجنيد رضى الله تعالى عنه :

(وقدم إمامًا كنت أنت أمامه) .

ولذة التقوى التى أشار إليها السيد الشريف إنما هى من قبيل الذوقيات الوجدانيات عند أرباب المشاهدات .

ولذة التقوى ينتقل صاحبها من التلذذ بالأعمال والأقوال إلى التلذذ بالاتصال والمشاهدة ، ويجعلون بعدهم عن هذا الحال عذابًا وموتًا

---

(١) البيت بتمامه :

يا أخت سعد من حبيبى جئتنى ❊ برسالة أديتها بتلطف

أنظر ديوان ابن الفارض ص ٢٠١ ط دار المعارف .

كما قيل : (وما عذابى إلا حجابى) وكما قال سيدى الغوث أبو مدين رضى الله تعالى عنه :

تضيق بنا الدنيا إذا غبتمو عنا
وتزهق بالأشواق أرواحنا منا
فبعدكمو موت وقربكمو حيا
ولو غبتمو عنا ولو نفسا متنا

وكما قال سيدى الشريف ابن إدريس رضى الله تعالى عنه : (وأنا إذا تركت ذكر الله أموت) يعنى : الذكر الذى مع المشاهدة واللذة والاتصال ، لا الذكر الذى نحن نعرفه .

وقلت بفضل ربى تعالى : -

حلاوة الايمان يا أخانا
مثمرة اللذة فى تقوانا
بها نرى الشهود فى الأعمال
وسائر الأقوال والأحوال
إذ الشهود مظهر التجلى
ومهبط الأسرار والتدلى
صاحبه يغرف للمعانى
من درر الحديث والقرآن

كأنه الغريب فى منواله

وجاذب الأرواح فى مقاله

كإبن إدريس على القدر

من أقمر الدنيا كمثل البدر

تعرفه كلاً وتدعيها

لو كشف الحجاب مت تيها

هيهات هيهات عن الوصول

ما دمت فى المسير فى عدول

إعرف طريق الشيخ كيف كانا

واسلكه تلق الشيخ يا أخانا

قد حجب الناس عن الطريق

لكثرة الأهواء والتفريق

وابتعدوا عن نهجنا السنى

الواضح الصوفى والجلى

طريقنا هو الكتاب المرشد

وسنة قائلها محمد

صلى عليه الله بالتسليم

والآل والأصحاب بالتكريم

ما الجعفرى زار للمختار

فى حضرة الشهود والأنوار

وما تلى مريد الأورادا

فنال من صاحبها ودادا

عن ابن إدريس رضاك ربى

ما أحرم الحجيج أو يلبى

والجعفرى صالح يلقاه

فى عرفات القرب أو يراه

وقول سيدى أحمد رضى الله تعالى عنه (حتى تسرى فى ذاتى لذة شهودك فى جميع أنفاسى من غير التفات إلى شىء سواك).

هذا هو مقام التمكين الذى صاحبه وصل إلى حلاوة الإيمان ولذة التقوى، فيتلذذ صاحبه بالشهود الإلهى لذة تحجز العارف عن التلذذ بشىء سوى ذلك، كما قال سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

ولم يبق لى جسم يلذ بغيركم

كأنى بالعرش المجيد معلق

لأنه متلذذ بعدد الأنفاس بجسمه مع الناس، وغاب بروحه عن اللوح والقرطاس، وطابت منه الأنفاس، وصدق فى النهاية والأساس طاب له السماع، وتنورت به البقاع، خلع العذار، ودارت له الكاسات وحصل له التواجد بين الأكابر والسادات، كشفت عنه الحجب والأستار، هبت عليه النسمات فى الأسحار، كما قال شاعرهم:

طاب السماع وهبت النسمات

وتواجدت فى حانها السادات

هبت عليهم نسمة سحرية

خلع العذار ودارت الكاسات

سمعوا بذكر حبيبهم فتمايلوا

طرباً وزالت عنهم العبرات

وأما قوله تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (١) ففيه التبرؤ من الحول والقوة إلى حول الله تعالى وقوته، فالذى يجعل النور هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ (٢) ولهذا الجعل أسباب وهى اتباع الأوامر الإلهية التى توصل العبد إلى حلاوة الإيمان ولذة التقوى حتى يجعل الله له نوراً يكشف له عن حجب الجمال والكمال بعد الاتصال بقدر الحال.

(١) سورة النور: ٤٠. (٢) سورة الأنعام: ١.

فيتلذذ بالمتابعة أولا، كما قال سيدى الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه (بالاتباع المحمدى منزلة منزلة)، وبعد ذلك التلذذ بالمشاهدة، كما قال أيضًا رضى الله تعالى عنه: (حتى تسرى فى ذاتى لذة شهودك فى جميع أنفاسى).

وأما إذا لم يكن كذلك فليس بذاك، وقد قال فيه الشريف ابن إدريس رضى الله عنه: فليس من الذين قيل فيهم **(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)** لأنه إلى الآن لم يؤت النور.

قال [سيدنا ومولانا شيخ الشيوخ وسلطان الرسوخ عالم زمانه وغوث آوانه فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى راجى عفو مولاه العلى:

أراد رضى الله تعالى عنه الفراسة العامة بجميع أنواعها: لأنها تتنوع باعتبار درجات العباد، وهى كشف خارق للعادة، فإن كان من نبى فهى معجزة، أو من ولى فهى كرامة، أو من عامة المؤمنين فهى فراسة بكسر الفاء.

* * *

قال الشريف مولاى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه: (فهو يقول: الإمام كنت تتقدم عليه لعدم بصيرتك به، ها أنت قد أبصرته فاتبعه وقدمه كما قدمه الحق، فكن مقتدياً بربك فى ذلك متخلقا بخلقه متحققا باسمه المقدم والمؤخر).

* * *

الشـــرح : قـوله (فهو يقول) أى سيدى أبـو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه .

قوله : (الإمام كنت تتقدم عليه لعدم بصيرتك به) .

الإمام هو النبى صلى الله عليه وآلـه وسلم ، والتقدم عليه صلى الله عليه وآلـه وسلم هو مخـالفته وعدم متـابعته وعدم الـدخول فى حـزبه الذى هو حزب الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى : ﴿**ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ (١) وبسبب اتباعـه لخطوات الشيطان والدخول فـى حزبه الخاسر ، قال تعالى : ﴿**ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾ (٢) .

فلما تـاب وأناب ، وإلى ربه رجع وآب ، ومـزق الحجب وفتحت له الأبواب ، فدخل الدار مع الأعلام ، وأبصـر الإمام ، قال له سيدى أحمد رضى الله تعالى عنـه : (ها أنت قد أبصرتـه فاتبعه) والمتابعة التـامة هى التى وصف بها الشريف المكى السيد محمد عثمان الميرغنى رضى الله تعالى عنه شيخه الشريف السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه حيث قال : (تلميذ ابن إدريس أحمد ذى الأفعال الأحمدية) .

قال الشـارح وهو السيد سـر الختم الميرغنى رضى الله تعـالى عنه : (الأفعال الأحمدية) هى التمسك بالسنة فى الأفعال والأقوال وفى جميع الأحوال وكان شيخ الأستاذ هكذا . اهـ .

وفى سيرة سيدى ابن إدريس رضى الله تعالى عنه أنه كان يقيم الليل

(١) المجادلة : ٢٢ . (٢) المجادلة : ١٩ .

ويشغل نهاره بالعلم ، وكان يطيل الصـلاة ، وكان لا يتكلم إلا بذكر الله والعلم ، وكان زاهدا فى لذات الدنيا ومتاعها والالتفات إليها .

وكان يلبس العمامة على القلنسوة ويرسل لها عذبة ، ويقصر الثياب ويأمر أصحـابه بإعفاء اللحـى ، وكان يحرم الـدخان وشربـه ، وكان لا يجمع الإخوان إلا لأجل العلم وتلاوة القرآن .

وكانت مجـالسه كلهـا علمًا على اختـلاف أنواع العلـوم ، وكان من حفظـة القـرآن بـالقـراءات المـاهـرين بهـا ، وكـان لـه بـاع طـويل فى التفسيرعلى اختـلاف القراءات ، وبـالجملة فالمتـابعة المحمـدية هى العمل بالكتاب والسنـة ، ولا يكون العمل تامًا إلا بـالعلم ، والعلم هو المتابعة الحقيقية .

ومن العلم الربـانى أن تعرف للنبى صلى الله عليه وآله وسلم منـزلته وحقـه ، وأن تقـدمـه على نفسك وجميع أحبـائك وأقـربـائك ؛ لأن الله سبحانه قدمه وكرمه ، فإذا قـدمته صلى الله عليه وآله وسلم فقد اقتديت بربك تعـالى حيث أمرك بتقديمـه فامتثلت ، وبـالاقتداء به فـاقتديت ، وكنت مطيعًـا لقـول سيدى الشـريف ابن إدريس رضى الله تعـالى عنـه حيث يقول : (وقدمه كما قدمه الحق فكن مقتديًا بربك فى ذلك) .

قلـــت : الاقتداء بـالله تعالى هنا هو امتثال أمره سبحـانه وتعالى فى قوله : ﴿**إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله**﴾ (١) .

(١) سـورة آل عمران : ٣١ .

أما قوله رضى الله تعالى عنه : (متخلقا بخلقه متحققا باسمه المقدم والمؤخر) فقد أشار رضى الله تعالى عنه بهذا إلى حديث (**تخلقوا بأخلاق الله**) أي فيما يجوز التخلق به كالحلم والعلم والكرم وتوقير النبى صلى الله عليه وآله وسلم واحترامه .

وفى الحديث القدسى : (**يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم**)

قوله : (متحققا باسمه المقدمَ والمؤخر) أى : جاعلاً نفسك مظهرًا لهذين الاسمين حينما أخرت نفسك وقدمت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وجعلته قدوة لك، كما فى قوله تعالى : ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ (١) لأن جميع الانفعالات الكونية مظاهر الأسماء والصفات الإلهية ، فالموت مظهر لاسمه تعالى المميت، والحياة مظهر لاسمه تعالى المحيى، والغنى مظهر لاسمه تعالى المغنى ، وهكذا قال تعالى : ﴿**الله خالق كل شىء**﴾ (٢) .

قال الشريف سيدى ابن إدريس رضى الله تعالى عنه قوله :

﴿ وصل صلاة الفجر ﴾

النورانى بعد أن انفجر لك النور من قلبك وصرت ترى به، صل الصلاة ذات النور وهى التى تبصر فيها وتشاهد ما تصلى له، وأتم

(١) سورة الأنفال آية : ١٧ .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٢ .

نشأتها الحسية أيضًا كما كان يصليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كافة البرية (صلوا كما رأيتمونى أصلى) .

قال راجى فتح ربه الفاتح [خزينة الإمدادات الحسينية والعطايا الإلهية مولانا العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ] صالح بن محمد بن صالح [الجعفرى رضى الله تعالى عنه] :

القلب له ظلام يسمى الران وهو فى قلوب الكفار والعصاة بسبب الكفر والمعاصى ، قال تعالى : ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ (١) وأما قلوب المؤمنين العاملين ففيها نور يسمى الفجر، أعلاه الذى فى قلوب النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وأدناه الذى فى قلوب عامة المؤمنين ، وأوسطه فى قلوب العارفين، وهو المراد هنا ؛ لأن صاحبه قد انفجر نوره فى قلبه فأبصر إمامه فتبعه فصلى صلاة العارفين بربهم .

(لطيفة) الإمام صلى الله عليه وآله وسلم نور، والذى انفجر فى القلب نور، فإذا اتصل النور بالنور تم الهناء والسرور، و ذهب الهوى والغرور قلت فى قصيدتى المسماة بالمقبولة :

حبه فرض وحتم

مدحه خير وغنم

(١) سورة المطففين : ١٤ .

ليس يأتى القلب هم

للذى يهوى محمد

وقوله رضى الله تعالى عنه :

وأتم نشأتها الحسية أيضًا

تحذير من النقص المشار إليه فى الحديث، قال عليه الصلاة والسلام : (إذا صلى العبد الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها) .

ورأى صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يصلى ، فلما فرغ من صلاته قال عليه الصلاة والسلام «**صل فإنك لم تصلِّ**» وإنما حكم صلى الله عليه وآله وسلم على صلاته بالعدم لعدم تمام نشأتها .

فيجب على العامل تمام نشأة الأعمال حتى يتم جسدها وروحها فتمام جسدها بإتقان النشأة الظاهرة، وتمام روحها بكمال الإخلاص الباطنى ، وقد تقدم بحث مثل هذا فى كتابى المسمى (شرح القواعد)[1] .

واعلم أن الأعمال بمنزلة الطلب المقدم للأمير لأجل الإذن بالدخول عليه ، فإذا استحسن الأمير الطلب أذن لصاحبه بالدخول عليه ، وإذا لم

(١) وهو كتاب الإلهام النافع لكل قاصد، فانظره ص ١١٢ وما بعدها . .

يستحسنه منعه ، والأعمال هى الموصلة إلى الدخول فى الحضرة القدسية ، فمن صلح عمله أذن له ، ومن فسد عمله منع .

فحسّن أعمالك فإنها لك ، وأتقنها فإن الناقد بصير يبصرك ، ومزق حجاب نفسك الذى به يتسلط الشيطان عليك ، فمن مزق حجابه فقد طرد الشيطان عن بابه .

فحبائل الشيطان المظلمة تتصل بحبائل النفس إذا أظلمت ، فحاذر من ظلماتها ، وأوامر إبليس تسيطر على النفس عند حركة شهواتها ، فأمت نفسك المخالفة بالبتار، ولا تطعها فى أوامر شهواتها فإنها مطية النار.

وملك جوارحك لروحك ، واجعلها لها مأمورة لا للشيطان والنفس والهوى .

قال الشيخ أحمد الدردير رضى الله تعالى عنه :

ويا مالك ملك جميع عوالمى

لروحى وخلص من سواك عقولنا

أراد بالعوالم الجوارح ؛ لأنها إذا كانت روحانية تغلبت على شهوات النفس ، وتخلص العقل عن حجاب السوى المانع إلى كشفه الجامع كما قال أيضًا :

*** ويا جامع فاجمع عليك قلوبنا ***

وكما قال أيضًا :

وجـــد لى بجمع الجمع فضـــلا ومنَّـــة

وداو بـــوصل الـــوصل روحى من الضنـــا

قوله رضى الله تعالى عنه :

كما يصليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كافة البريه

أى : لأجل أن تقتدى به البرية إلى يوم القيامة ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) أى على الحاضر منكم الناظر إلىّ أن يصلى كما رآنى ، وليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وهكذا كل جيل مأمور أن يبلغ من بعده إلى يوم القيامة ، لتحصل تمام المتابعة التى بها يتم كمال النشأة العملية .

«لطيفة» ولم يقل صلى الله عليه وآله وسلم : كما علمتونى أصلى ، لأنه لا يعلم مخلوق ما بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين ربه تعالى ، ولا يستطيع مخلوق أن يصلى صلاته ، ولا أن يصل إلى ما فيها من إخلاص قلبى وشهود ربانى ، فهو يصلى لله تعالى على وفق علمه بربه وخوفه منه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : «**أعلمكم بالله وأخوفكم من الله أنا**» .

قال الشريف ذو المعالى أبو عبد العالى سيدى أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

رأى بعض العارفين الأولياء الحق فى نومة من نوماته فقال له : يا رب أى الوضوء عندك أكمل؟ قال : الذى ليس فيه لمعة ولا إسراف . قال له : فأى الصلاة عندك أقبل؟ قال : التى ليس فيها ذكر جنة ولا نار.

قال راجى فضل ربه العلى [أبو سيدى عبد الغنى سيدنا ومولانا فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه] : اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى منامًا ، كما أنهم اتفقوا على عدم رؤيته فى الدنيا يقظة ، قال الشيبانى الأزهرى رحمه الله تعالى :

ومن قـــال فى دار الحيـــاة رأيتـــه

فـــذلك زنـــديق طغى وتمـــردا

وقد رأى الحق منامًا كثير من الفضلاء ، منهم الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ، وقد ذكرت شيئًا من ذلك فى كتابى (المنتقى النفيس) و(شرح القواعد) .

قوله :-

الذى ليس فيه لمعة ولا إسراف

اللمعة هى الجزء الذى لم يصل إليه الماء فى الغسل أو الوضوء ، لأنه يشترط الإسباغ فيهما واللمعة تبطلهما .

والإسراف كثرة الماء فيهما، قال ابن أبى زيد القيروانى رحمه الله تعالى: (وقلة الماء مع إحكام الوضوء سنة، والسرف فيه غلو وبدعة، وقد توضأ صلى الله عليه وآله وسلم بمد وهو وزن رطل وثلث بالبغدادى وتطهر بصاع وهو أربعة أمداد بمده صلى الله عليه وآله وسلم).

قال سيدى أحمد زروق رضى الله تعالى فى شرحه على الرسالة: الوسواس غالبًا يعترى الصالحين غير أنه لا يبقى إلا مع من بعقله خبل، وقال فى القواعد: إحكام طهارة الظاهر يقوى طهارة الباطن اهـ.

قلت: وفى ذلك حكمة فسبحان من حكم أن بين الظاهر والباطن جواذب، وكلاهما قد يكون مظهرًا للآخر، قال عليه الصلاة والسلام: **(من أسر سريرة ألبسه الله رداءها)** وقال الله تعالى: ﴿**إن يعلم الله فى قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا**﴾ (١) وقال بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم: (كنا نعرف أخلاقنا من دوابنا) وبلغنى أن السيد أحمد الريفى رضى الله تعالى عنه تلميذ السيد محمد بن على السنوسى رضى الله تعالى عنه ركب فرسه يومًا قبل أن يقرأ حزب السيف، فجمحت على غير عادتها حتى نزل منها وقال: (عندك الحق ما قرأت السيفى) وهكذا الأحوال يا أخا الكمال مراتب وجواذب، والمدار على الجواذب

(١) سورة الأنفال: ٧٠.

الباطنية حتى فى زيارة الأحياء والأموات، و لولا الجواذب الباطنية ما تزاورت الأشباح. وقلت بفضل ربى تعالى وأنا بالقبة الحسينية:

يا أهل بيت الطهر لا زال طهركم
يطهر من يأتى إليكم بحبه
جواذب حب من قديم تواردت
على قلب من يهوى فجاء بجذبه
وهذا شراب الطهر يسقاه من أتى
إليكم ويوم الحشر يروى بعذبه
وقد جاءكم حزب الإله مسلمًا
وأنتم عباد الله سادات حزبه
فجدكم المختار أشرف مرسل
وشرفتمو بين الأنام بقربه
على جدكم صلى الإله مسلما
وصلى عليكم والأفاضل صحبه
متى صالح يتلو مدائح معشر
بمدحهمو يرجوا إزالة حجبه
ليدخل فى حزب الكرام أولى التقى
ويشهد أحبابا كراما بقلبه

وقلت بفضل ربى تعالى :

خيـــــــــر بيـت بيـت النبى وأنتـم

آلـــه والـــدخـــول منكـم عليـــه

كـل مـن زاركـم يـــــراكـم بنيـــه

أنتمـــو نـــوره ومنـــه إليـــه

* * *

قال الشفـاء أبو الـوفاء الشـريف السيد أحمـد بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

والله يقول : ﴿أقم الصلاة لذكرى﴾[1] أى للسكون والصمت لا لذكر شىء غيرى من جنة ونار وغيرهما فلا تشهد فيها إلا إياى فتغيب عن أفعالك بكبرياء الحق ومطالعة جماله) .

قوله :

التـى ليـس فيهـا ذكـر جنـة ولا نـار

استـدل على ذلك الشريف رضى الله تعـالى عنـه بهذه الآيـة ﴿وأقم

(١) سـورة طـه : ١٤

الصلاة لذكرى﴾ كأنـه يقول لا تذكـر بقلبك مخلوقًـا مع ذكر الخـالق ، وهذا يسمى مقام التجرد عن الغير وكشف العامة .

قوله :

أى : للســكون والصمــت

أى : سكـون الـروح عن الجـولان فـى حضـرة الحق عنـد التجلى بحجـابهـا وكشفهـا ، وذلك عنـد كشف حجـاب المنـاجـاة ، وسـدل الحجـاب على الأغيار ، إذ الشهـود بحجـاب وكشف ؛ كما أن الغفلـة بحجاب عن ذى الجـلال ، وكشف لمشاهـدة الأغيار ؛ وتمـام السكون هو الذى أشار إليه رضى الله تعالى عنـه فى أحزابه بقوله : (حتى لا أرى فىّ وفى كل شىء وفى لا شىء إلا إيـاك) وعنـد ذلك يحصل السكـون التام ، وقد أشار إلى ذلك سيدى عمـر بن الفارض رضى الله تعالى عنه بقوله :

ولـــو خطـــرت لى فـى ســـواك إرادة

على خـــاطـــرى سهـــواً قضيت بـــرِدَّتى

أى : تحرك باطنى إلى مخلوق عند التجلى .

قوله :

والصمــت

وذلك فى مقام السماع الإلهى الذى أشار إليه رضى الله تعالى عنه فى أحزابه بقوله : (وأوقفنى وراء الوارء بلا حجاب عند اسمك المحيط فى مقام السماع العام) .

وهذا المقام صاحبه فى نشوة وطرب مع المحافظة على الأوامر الإلهية بتثبيت الله تعالى له ، وقد أشار إلى ذلك أو ما يقاربه سيدى عبد الكريم الجيلى رضى الله تعالى عنه فى عينيته بقوله :

فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوى

وإنى منكم لا من الطير سامع

وذلك عند مشاهدة أثر القدرة المحض ، وقد أشار إلى ذلك ابن الفارض ـ رضى الله تعالى عنه ـ بقوله :

وكل الذى شاهدته فعل واحد

بمفرده لكن بحجب الأكنة

إذا ما أزال الستر لم ير غيره

ولم يبق فى الأشكال أشكال ريبة

قلت : وذلك يحصل لأرباب المشاهدات بعد الكشف الأكبر الذى هو بعد الكشف عن حقائق الأشياء ، إذ العارف لا ينتقل عن الأثر إلى المؤثر إلا بعد معرفة الأثر معرفة خارقة للعادة .

قال تعالى : ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموٰات والأرض

وليكون من الموقنين﴾[١] وذلك لأن الكشف الأصغر يتبعه اليقين والكشف الأكبر بعد اليقين ، وبعد الكشف الأصغر العلم ، وهو علمان ، علم بالأثر وقد يكون بالمشاهدة : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى﴾**[٢] : وبعد ذلك حصل العلم بالثانى وهو العلم المؤثر المبدع ﴿**واعلم أن الله عزيز حكيم﴾** [٢] ومن العلم الأول الحاصل بالمشاهدة ﴿**وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما﴾**[٣] وبعد ذلك حصل العلم الثانى ﴿**قال أعلم أن الله على كل شىء قدير﴾** [٣] .

ومن العلم الأول ﴿**فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾** [٤] ومن الثانى الوصول إلى أن الله لا يغيب .

تنوع أسرار الله فى ملكه

كما قال سيدى الغوث أبو مدين رضى الله تعالى عنه :

*** لله فى الكون أسرار ترى فيه***

قلت : وتلك الأسرار أنواع متنوعة ، وفروع متفرعة ، فقد يكون

---

(١) سور الأنعام : ٧٥ .
(٢) سورة البقرة : ٢٦٠ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٩ .
(٤) سورة الأنعام ٧٦ .

السر فى الهواء ﴿قال إنى لأجد ريح يوسف﴾ (١) وقد يكون في الجماد ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرًا﴾ (٢).

وقد يكون فى القلب ﴿قال أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ (٣).

ومن الذى يكون فى القلب رؤية سيدنا أمير المؤمين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الجيش والعدو الكامن وراء الجبل مسيرة شهر.

ومن السر الذى فى الهواء وصول قوله إلى سارية بن زنيم رضى الله تعالى عنه وسماعه قوله من المدينة المنورة حينما قال وهو يخطب يوم الجمعة على منبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (يا سارية الجبل، الجبل، من ترك الحزم ذل).

ومن السر القلبى قول أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه : (أتدخلون علينا وفى أعينكم أثر الزنا).

وقد يكون فى الجماد كالشفاء الذى فى العسل ﴿فيه شفاء للناس﴾ (٤) وقد يكون فى الأنعام ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة﴾ (٥) وقد يكون فى الحشرات ﴿فتبسم ضاحكًا من قولها﴾ (٦) قد أضحكه

(١) سورة سورة يوسف : ٩٤ .
(٢) سورة يوسف : ٩٦ .
(٣) سورة النمل : ٤٠ .
(٤) سورة النحل : ٦٩ .
(٥) سورة المؤمنون : ٢١ .
(٦) سورة النمل : ١٨

السر الإلهى السارى فيها الذى به نطقت، حيث نادت، وسمت المنادين، وأمرت، وذكرت المساكن وأضافتها إلى أربابها وحذرت، وذكرت المحذر منه، وأضافته إلى المحذرين، وذكرت المتسبب فيه، وذكرت من معه وأضافتهم إليه، واعتذرت عن المتسببين فى المحذر منه. ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ (١).

وتلك الأسرار موجودة، والوصول إليها بقدر قوة الأنوار القلبية كالبصر الظاهرى مشاهدته على قدر قوة إبصاره، ومن ذلك الشبع الذى فى الطعام، والرى الذى فى الماء، والإحراق الذى فى النار.

ومما يرد به على الكفار أهل الطبيعة أن الطبيعة لا تتخلف تأثيراتها ولكن الإله سبحانه وتعالى قد يعكس تأثير الشىء إلى ضده، قال تعالى : ﴿قلنا يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم﴾ (٢) ﴿فاضرب لهم طريقًا فى البحر يبسًا﴾ (٣) ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ (٤) ﴿وأوحينا إليه لتنبئنهم﴾ (٥) ﴿فنادى فى الظلمات﴾ (٦) فالنار موضع إحراق وتعذيب، صارت موضع سلامة وتلذذ بمناجاة الحبيب.

الجب موضع وحشة وهلاك صار موضع وحى وأنس بالحبيب.

(١) سورة النمل : ١٧ .
(٢) سورة طه : ٧٧ .
(٣) سورة يوسف : ١٥ .
(٤) سورة الإسراء : ٦٥ .
(٦) سورة الأنبياء : ٨٧ .

والظلمات موضع وحشة وهلاك صارت موضع ذكر ومشاهدة.

الغار موضع مخافة لوصول العدو إليه صار موضع أمان وسكينة ومعية ربانية ﴿لا تخف إن الله معنا﴾ ولو أخذت فى النقل لتهت فى وسع هذا الميدان.

قوله:

فلا تذكر فيها إلا إياى

[يقول سيدنا ومولانا محيي معالم الطريق بعد إندثارها سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه]:

إعلم يا أخا التوفيق، سقانى الله وإياك من صافى الرحيق، أن الصلاة فرضت ليلة المعراج فى ساعة كشف الحجاب وظهور الأنوار الإلهية على الحضرة المحمدية فى مقام شهود (كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) فالصلاة تذكرة لتلك الليلة التى فيها الرؤية الإلهية والمشاهدة الربانية، فهى معراج الأرواح، وهدية الفتاح، إكراما للنبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فالنية بمنزلة الدعوة، وتكبيرة الإحرام كالدخول فى السماء الأولى، والقيام لها: السماء الثانية، وقراءة الفاتحة: السماء الثالثة، والقيام لها: السماء الرابعة، والركوع: السماء الخامسة، والرفع منه: السماء السادسة، والسجود: السماء السابعة، قال عليه الصلاة

والسلام: (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**) لذلك كان الأليق بها كما قال الشريف: (**فلا تذكر فيها إلا إياى**).

ولما كان السجود تذكارًا لسجوده صلى الله عليه وآله وسلم فوق السماء السابعة، وتذكارا للتجلى الإلهى ناسب أن يقول الشريف الإدريسى مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

(فتغيب عن أفعالك بكبرياء الحق تعالى ومطالعة جماله)

كما قال أيضًا:

ظهرتم بأوصاف الكمال لناظرى

فغبت وعنكم لا تغيب سرائرى

وقال رضى الله تعالى عنه:

(وأن تحققنى بشهود ذاتك يا ذا الجلال والإكرام تحقيقًا كليًا وشهودًا عينيًا يستغرق جميع ذاتى وصفاتى وجملة أجزائى وكلياتى).

قلت: وإنما سأل الله التحقيق لأن صاحب هذا المقام قد تحقق بالحقائق وصار مظهرًا لاسمه تعالى الحق، وصارت آية وجه روحه من كتاب الله تعالى ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل**﴾[1] لأن هذا الشهود لا

(١) سورة الإسراء: ٨١.

يكون إلا لمن صار حقًا محضًا صرفًا من جميع الوجوه، وفى هذا المقام يقول الشيخ أحمد الدردير المالكى رضى الله تعالى عنه:

ويا حق حققنى بسر مقدس
لأدرى به سر البقاء مع الفنا

ويقول: ويا باقيا بك أبقنا فيك أفننا.

فصاحب البقاء بالله والفناء فى الله هو الذى يقول: وأن تحققنى بشهود ذاتك.

وقول الشريف رضى الله تعالى عنه:

«يا ذا الجلال والإكرام إشارة إلى القبض والبسط»

﴿والله يقبض ويبسط﴾ (١) لأن التجلى بالجلال وحده لا يطاق، فسأل الله تعالى أن يجمع له فى التجلى بين الجلال والإكرام.

وهيىء قلبك يا عبد الله لما سيلقى عليك أصلح الله لك الحال وانظر إلينا بعينى قلبك، ففى ذلك فتح باب لابن إدريس عليك، وفيوضات تساق إليك، ولا يحجبك عن ذلك إلا اغترارك بنفسك، ووقوفك مع قطرات علمك. فيا هذا أخلص يخلص لك العالم. ولا تقل إنى عالم. وخاطب روحك بروحك، وذكرها بأيام الله وجاهد لشهودك.

(١) سورة البقرة: ٢٤٥.

تجلى الجلال

[يقول خزينة الإمدادات الحسينية سيدى الإمام العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه].

إعلم أن التجلى الإلهى تتدكدك منه الجبال الراسيات، قال تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ (١) فكان التجلى بالجلال على الجبل ولذلك تدكدك، ولو كان التجلى بالإكرام ما تدكدك الجبل ولذلك قال شيخنا ومربى أرواحنا: يا ذا الجلال والإكرام.

ولابد عند ذلك من استغراق جميع الكليات والجزئيات كما أشار إلى ذلك العارف بالله تعالى ابن الفارض رضى الله تعالى عنه:

وصرت موسى زمانى
مذ صار بعضى كلى
وذلك لأن العين بعض فصار الجسد كله يبصر، ولأن الأذن بعض فصار الجسد كله يسمع، ومعنى (وصرت موسى زمانى) يعنى فى التجلى، لا فى النبوة والرسالة، لأنه يقول:

وسركم فى ضميرى
والقلب طور التجلى

والسر هو المشاهدة القلبية التى أشار إليها الشريف ابن إدريس

(١) سورة الأعراف: ١٤٣.

رضى الله تعالى عنه بقوله: (مشاهدة خارجة عن المحسوسات والمعقولات) لأن التعطيل فى المحسوسات والمعقولات وفى مشاهدتهما الابتلاء. قال الله تعالى: ﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم**﴾ (١) فإذا خرج عند التجلى عن المحسوسات والمعقولات فارق الابتلاء ووصل إلى المراد، وسمى القلب الباطنى طور التجلى ولم يتدكدك للتجلى بالإكرام الباطنى، وسمى الجوارح جبالاً، وكنى عن سكونها للهيبة الجلالية الإلهية بالتدكدك فقال:

صارت جبالى دكا

من هيبة المتجلى

الروح مثل الجسد فى الصورة

ومن الاستغراق للكليات والجزئيات أنك تسمع جميع كلياتك وجزئياتك تذكر الله تعالى، ويحصل لها تلذذ غريب وعجيب، وذلك لأن انفعالات الروح الباطنى تظهر على جميع الهيكل الظاهرى، لأن روحك كجسدك فى الصورة وشهودها فى عالمها كان شهودًا استغراقيًا فإذا تحققت بالشهود صرت هكذا.

وأشار إلى هذا الشريف ابن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله:

وشاهدت حسنا شاملا كل وجهة

وكانت من الوجهات أيضًا مظاهرى

(١) سورة الكهف: ٧.

والمظاهر جمع مظهر وهو مكان ظهورأثر الروح وهو الجسد، فشاهد بقلبه الحسن الشامل لكل وجهة فى جسده وجزئياته حتى إن العين تبصر والأذن تسمع فى حالة النوم؛ لأن النوم صار للجسد نومًا صوريًا لاحقيقيا (**نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا وقلوبنا لاتنام**) وذلك كموت الشهداء ﴿**بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ (١)، (**أبيت عند ربى فيطعمنى ويسقينى**).

ولذلك كان صاحب هذا الاستغراق مظهر العجائب منه إليه به فى حيث لا محسوسات ولا معقولات من حيث التجلى الإلهى، فيرى به أنه له لا لغيره ﴿**واصطنعتك لنفسى**﴾(٢) فظهر سر الصانع فى المصنوع لما أبصر وسمع بجميع كلياته وجزئياته وشاهد شهودًا عينيًا روحانيًا جثمانيًا من حيث لا جسم إلا الرسم، وعند ذلك تبدو أسرار وتلوح أنوار، ليله كنهاره من تزاحم أنواره، كما أشار إلى ذلك ابن الفارض رضى الله تعالى عنه بقوله:

ولاح سر خفى

يدريه من كان مثلى

ولما كان النظر بجميع الكليات والجزئيات قال:

جمالكم نصب عينى

إليه وجهت كلى

(١) سورة آل عمران: ١٦٩. (٢) سورة طه: ٤١.

أى نصب كلياتى وجزئياتى التى صارت تبصر مالا يبصره المبصرون، وهذا هو الاستغراق الكلى الذى أشار إليه كنزنا وذخرنا الشريف ابن إدريس رضى الله تعالى عنه، وأيضًا أشار إليه بقوله:

شغلت بحسن وجهكم عن شواغلى

كأنى من عشق الجمال مخلق

ولما عمت تلك اللذات الروحية الجسد كله عند الاستغراق الكلى قال رضى الله تعالى عنه:

ولم يبق لى جسم يلذ بغيركم

كأنى بالعرش المجيد معلق

وهناك يا أخانا ما يكل عنه اللسان ويعجز عنه البيان، ويدهش صاحبه، ويكل كاتبه، وفى التصديق به قربة.

فصدق لعلك أن تدرك ما فى النية، فكم فتح عليك من ميزاب، وما أوجفت عليه من خيل ولا ركاب، وكم تزاحمت عليك ذخائر النفائس لعلك أن تستأصل حب الدنيا من قلبك لتذوق حلاوة ذكر ربك.

أيها المريد بابُنا باب الله

فماذاق حلاوة أحزابنا، من طرق غير بابنا، وبابنا باب الله وقفنا عليه كوقوف الواقفين بعرفات، جهله من جهله، وعرفه من عرفه.

فأقبل على الأحزاب بكليتك مع التدبر والتأنى، ومع التجريد الباطنى عن شوائب كدورات نفسك الأمارة، لعل أن تظهر لك إمارة،

فكم من واصلين بها إلى عظيم التجليات، وكم من كاتبين عنها نفائس الكلمات.

فأين أنت؟ أين أنت؟ كيف تكاسلت بعد أن فهمت؟ وكيف ذقت الشراب الإدريسى وما همت؟ فكم به من هائم وصائم وقائم! إشرب شرابنا الغالى تظهر لك اللآلى، وينفعك مقالى.

إياك إياك والدنيا فلا تقبل عليها يا أخا التجلى، وعنها أدبر وولى فوالذى نفسى بيده إنك تاركها غصبًا، فاتركها باختيارك تزدد حبًا وقربًا، إغسل قلبك وطهره من حب الجيفة قبل أن تقرأ أحزابنا، ولا تخلط اللبن بالخل فيفسده.

إيش حالك يا نائم الليل، وفاتتك فرسان الخيل! إيش حالك يا غافل النهار، فاتك الغيث المدرار.

لا ينفعك إقبال الناس، ولا ينفعهم إقبالك عليهم إلا إذا كان لله ومن الله (**إن الله يحب عبده فلانا فأحبوه**) فالذهب لا يشترى بالخزف، والمعالى لا تنال بالزهو والترف، فهلم إلى باب قيام الليل كما قال ابن النحوى:

وصلاة الليل مسافتها

فاذهب فيها بالفهم وجى

واتل القرآن بقلب ذى

حرق وبصوت فيه شجى

هلم إلى ما لا يخطر لك ببال، هلم لتفتح لك الأقفال، وانظر بقلبك ثم انظر لعلك أن تنظر:

رفعـــوا إليك من العـــلا أعـــلامًـــا

فـإذا نظـــرت فقـــد لقيت كـــرامًـــا

بيض الـــوجـــوه لهم قيـــام فى الـــدجى

شـــربـــوا من الحب الـــوفى مـــدامـــا

بـــالـــروح تبصـــرهم وتلقى وفـــدهم

وفـــدوا إلى البيت العتيق قيـــامـــا

نظـــروا إليـــه بأعين همـــالـــة

ورأوا هنـــاك أفـــاضـــلا أعـــلامًـــا

قولـه:

﴿ فى أول العصـر ﴾

(قوله فى أول العصـر) قال الشريف مولاى السيـد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

لأن صاحب هـذا المقام له الأولية، وهى حقيقـة فيه لكينونة الحق له ـ كما تقدم ـ سمعًا وبصرًا ولسانًا ورجلا وفؤادا كما يليق بجلالـه، ومن أسمائه الأول، والعصـر الزمنى من قـولهم العصر الفلانى، وفى عصر فلان، وليس العصـر المعتد به إلا زمن النور الذى انفجر له فيه، وما قبله ظلمة، والظلمة عدم، فلا عصر إلا وقت الإبصار فهو (أول العصر).

قال راجى عفو ربـه [شيخ المادحين لرسول الله صلـى الله عليه وآله وسلم فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه]:

معنى كلام السيـد ابن إدريس رضى الله تعالى عنه: المراد بـالفجر انفجار النور الإلهى فى القلب، والمراد بالعصر الزمن الذى حصل فيه الانفجار، فيكون تقدير الكلام هكذا:

وصل الصلاة النورانية فى أول زمن حصول النور.

قـولـه:

لأن صاحـب هذا المقـام لـه الأوليـة

قلـت: يقـول السيـد رضى الله تعـالى عنـه: لا ينبغى التأخـر والتـوانى، بعـد ظهـور النـور وظهـر الأوانى، إذ التأخـر عيب فى هـذا المقام، قال ابن النحوى رحمه الله تعالى:

وإذا أبصـــرت منـــار هـــدى

فـــاحـــذر إذ ذاك من العـــرج

لتكـــون من السبـــاق إذا

مـــا جئت إلى تلك الفـــرج

فهنـــاك العيش وبهجتـــه

فلمبتهـــج ولمنتهـــج

وقـد أشار إلى ذلك السيـد بن إدريس رضى الله تعـالى عنـه بقولـه

(حتى لا أذهل عنها فى المشاهد القدسية طرفة عين ولا أقل من ذلك).

قـولـه:

وهى حقيقة فيه

أى: الوصف بالأولية، لأنها مظهر من مظاهر اسمه تعالى الأول.

قـولـه:

(لكينونة الحق له كما تقدم سمعًا وبصرًا ولسانًا ورجلاً وفؤادًا كما يليق بجلاله)

يقول إمام عصره وأوانه سيدى الشيخ صالح الجعفرى غمرنا الله تعالى ببركاته ونفحاته آمين ورضى الله تبارك وتعالى عنه وعن ذريته وأولاده: لعل الكاتب أسقط كلمة «ويداً» ومعنى هذا قد تكلمت فيه فى كتاب (المنتقى النفيس) وفى كتاب (شرح القواعد)، وعلى كل حال فالظاهر غير مراد لاستحالته.

قال الشريف السيد بن إدريس رضى الله تعالى عنه: (هذا وقد قال رأس ديوان حضرات الوحى لسان الحق الذى لا ينطق عن الهوى المواجه بالخطاب الأزلى فى حضرة التكليم رسولك الأعظم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (إن دون الله عز وجل سبعين

ألف حجاب من نور وظلمة، وما تسمع نفس شيئًا من حس تلك الحجب إلا زهقت) وسأل صلوات الله وسلامه عليه الروح الأمين جبريل صلوات الله وسلامه عليه بقوله: هل رأيت ربك؟ فانتفض وقال إن بينى وبينه سبعين حجابًا من نور لو دنوت من أدناها لاحترقت).

وقال الشريف ابن إدريس رضى الله تعالى عنه، (وأنت الله ذو السبحات الوجهية الإلهية المحرقة، رداؤك الكبرياء وإزارك العظمة وحجابك النور لو كشفته لأحرقت سبحات وجهك ما أدركه بصرك من خلقك).

قال الشيخ محمد فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى فى شرح قوله عليه الصلاة والسلام: **(إن لله سبعين حجابًا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره)** وفى بعض الروايات: سبعمائة وفى بعضها: سبعون ألفا.

قال الفخر رحمه الله تعالى: لما ثبت أن الله تعالى متجل فى ذاته كان الحجاب بالإضافة إلى المحجوب لا محالة، والمحجوب لابد وأن يكون محجوبًا إما بحجاب مركب من نور فقط أو بحجاب مركب من نور وظلمة أو بحجاب مركب من ظلمة فقط.

(القسم الأول) المحجوبون بالظلمة المحضة.

هم الذين بلغوا فى الاشتغال بالعلائق البدنية إلى حيث لا يلتفت خاطرهم إلى أنه هل يمكن الاستدلال بوجود هذه المحسوسات على

وجود واجب الوجود أم لا ؟ وذلك لأنك قد عرفت أن ما سوى الله تعالى من حيث هو هو مظلم، وإنما كان مستنيرًا من استفادة النور من حضرة الله تعالى.

فمن اشتغل بالجثمانيات من حيث هى هى، وصار ذلك اشتغالاً حائلاً له عن الالتفات إلى جانب النور كان حجابه محض الظلمة.

ولما كانت أنواع الاشتغال بالعلائق البدنية خارجة عن الحد والحصر فكذا أنواع الحجب الظلمانية خارجة عن الحد والحصر.

(القسم الثانى) المحجوبون بالحجب الممزوجة من النور والظلمة.

اعلم أن من نظر إلى هذه المحسوسات فإما أن يعتقد فيها أنها غنية عن المؤثر، أو يعتقد فيها أنها محتاجة، فإن اعتقد أنها غنية فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة.

(أما النور) فلأنه تصور ما هية الاستغناء عن الغير، وذلك من صفات جلال الله تعالى وهو من صفات النور.

(وأما الظلمة) فلأنه اعتقد حصول ذلك الوصف فى هذه الأجسام مع أن ذلك الوصف لايليق بهذا الوصف، وهذا ظلمة، فثبت أن هذا حجاب، ممزوج من نور وظلمة.

ثم أصناف هذا القسم كثيرة، فإن من الناس من يعتقد أن الممكن غنى عن المؤثر، ومنهم من يسلم ذلك لكنه يقول المؤثر فيها طبائعها

أو حركاتها أو اجتماعها وافتراقها أو نسبتها إلى حركات الأفلاك أو إلى محركاتها، وكل هؤلاء من هذا القسم.

(القسم الثالث) المحجوبون بالحجب النورية المحضة:

واعلم أنه لا سبيل إلى معرفة الحق سبحانه إلا بواسطة تلك الصفات السلبية والإضافية، ولا نهاية لهذه الصفات ومراتبها، فالعبد لايزال يكون مترقيًا فيها، فإن وصل إلى درجة وبقى فيها كان استغراقه فى مشاهدة تلك الدرجة حجابًا له عن الترقى إلى مافوقها.

ولما كان لا نهاية لهذه الدرجات كان العبد أبدا فى السير والانتقال وأما حقيقته المخصوصة فهى محتجبة عن الكل، فقد أشرنا إلى كيفية مراتب الحجب، وأنت تعرف أنه عليه الصلاة والسلام إنما حصرها فى سبعين ألفًا تقريبًا لاتحديدًا، فإنها لا نهاية لها فى الحقيقة. انتهى كلام الشيخ الرازي رحمه الله.

قال راجى عفو مولاه [سيدى الإمام الأكبر كنز العطايا الإلهية والفيوضات الربانية فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تعالى عنه]:

يلوح لخاطرى والله تعالى أعلم أن تنوع الحجب إلى نور وظلمة إنما هو باعتبار الخلقة، فحجاب الأرواح نور، وحجاب الأجسام ظلمة وليس ذلك باعتبار الصفات الحاصلة من المحجوب.

ولذلك كانت حجب جبريل عليه السلام من نور فقط، وإذا وصل

الكامل إلى درجة فوق الروح والجسد أزال جميع الحجب ، ولا يكون ذلك بالعمل بل باختصاص الله تعالى ، ولم يحصل ذلك إلا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج ، وهذه الحجب حجب حقيقية وليست معنوية .

أما الحجب المعنوية فهى التى تكون باعتبار الأوصاف التى تصدر من المحجوب نفسه ، وذلك كالحجاب المسمى عند القوم بحجاب الغفلة ، وهى الظلمات التى تكون بسبب الكفر والفسوق ، وحجب نورانية وهى التى تكون باعتبار الإيمان والعمل الصالح .

فالأول الظلمانى : الذى يحصل باعتبار أوصاف الشخص يسمى حجابًا عن مشاهدة الله .

والحجاب الثانى النورانى : الذى يحصل بالأعمال الصالحة يسمى حجابًا عن مشاهدة غير الله تعالى ، قال تعالى ﴿**الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ (١) .

وإنما قلت : والأجسام حجابها الظلمات لأنها ترابية لا تتحمل حجب الأنوار ، فسبحان من جمع بين الروح والجسد وأعطى كلا حجابه اللائق به ، قال تعالى : ﴿**الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى**﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٧ . (٢) سورة طه : ٥٠ .

ولما كان الحق سبحانه من أسمائه النور أذن لأصحاب الحجب النورانية المحضة المكتسبة برؤيته يوم القيامة ، وجعل النور يلوح على وجوههم ، قال تعالى : ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ (١) وجعل وجوه أهل الظلمات المكتسبة المحضة مجردة عن النور عليها غبرة ، قال تعالى : ﴿**ووجوه يومئذ عليها غبرة**﴾ (٢) قال القرطبى : إذا قال الله تعالى للحيوانات يوم القيامة : كونى ترابًا تصير ترابا ويتطاير ذلك التراب على وجوه الكفار ، فهذه هى الغبرة . انتهى كلام القرطبى .

وحجبوا عن رؤية الله النور قال تعالى : ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ (٣) .

والحجب الظلمانية المكتسبة قد أشار إليها القرآن : ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ (٤) فجعل هذا الحجاب سببه الكسب ، وأما الحجب الأولى من نور وظلمة فلا دخل للكسب فيها ، لأنها جعلت لحكمة وهى عدم زهوق النفس من الجلال الإلهى ، فسبحان من حكمته فى كل شىء ، وليس كمثله شىء ، وإليه يرجع كل شىء ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾ (٥) .

قال الشريف بن إدريس رضى الله تعالى عنه :

---

(١) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ . (٢) سورة عبس : ٤٠ .
(٣) سورة المطففين : ١٥ . (٤) سورة المطففين : ١٤ .
(٥) سورة الشورى : ٥٣ .

(وليس العصر المعتد به إلا زمن النور الذى انفجر له فيه وما قبله ظلمة، والظلمة عدم فلا عصر إلا وقت الإبصار فهو أول العصر).

قلت: هذا تعليل لقوله (أول العصر) لأن من عاش مائة سنة وفتح له بعد خمسين فأول عصره ما بعد الخمسين، والذى قبلها كالعدم، وتعليل عدميته أنه ظلمة، والظلمة عدم النور، فأخذ العدم فى مفهومها.

قلت: بفضل ربى تعالى:

ما مر من زمان فى الظلام
قد حكموا عليه بالإعدام
إذ الظلام عدم والنور
هو الوجود قمر يدور
فابدأه بالأعمال ذات الخير
ولا تبطىء أبدا فى السير
هذا زمان الفيض والأسرار
عرج على العليا بالابتدار

قال الشريف بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

قوله:

﴿فهذى صلاة العارفين بربهم﴾

هم الذين اهتدوا به إلى معرفة أنفسهم ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه﴾ (١) ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (٢) أهل المعرفة الخارجة فإنهم غير ذائقين لهذا المعنى.

قال [خزينة الإمدادات الحسينية فضيلة الشيخ] الجعفرى عفا الله عنه وعن والديه [ورضى الله تعالى عنه والحقنا به آمين] قوله:

هم الذين اهتدوا به إلى معرفة أنفسهم

أشار بذلك إلى صفات النفس السبعة التى لا تدرك إلا بواسطة الذكر، ولا يكون العارف عارفًا حتى يعرفها ويهتدى إلى معرفتها.

ولما كانت تلك الصفات بعيدة المدى وعرة الطريق لا تدرك إلا

(١) سورة المطففين: ١٥.
(٢) سورة المطففين: ١٤.

بالتبرؤ من الحول والقوة قال رضى الله تعالى عنه (هم الذين اهتدوا به) قال تعالى ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ (١).

وقوله :

إلى معرفة أنفسهم

سماها معرفة لأنها تتوقف عليها المعرفة، فالجنيد رضى الله تعالى عنه يقول : (العارفين بربهم) والسيد رضى الله تعالى عنه يقول : إلى معرفة أنفسهم؛ لأن الجنيد أشار إلى المسبَّب، وهى معرفة الله تعالى والسيد أشار إلى السبب، وهى معرفة الأنفس ورضى الله عن السيد لأنه أشار إلى أمر مهم وهو أنه لابد من السبب أولا ثم المسبب ثانيًا، لأنه مقدم بالطبع فيكون مقدمًا فى الوضع.

قال الأخضرى رحمه الله تعالى فى سلَّمه :

وقدم الأول عند الوضع ❊ لأنه مقدم بالطبع

ولذلك السيد فسر الآية بالسبب؛ لأنه استدل بها على قوله (إلى معرفة أنفسهم). وأما التفسير بالمسبب فهو أن تقول ﴿من اهتدى﴾(٢) إلى الله تعالى بالمعرفة والإيمان والإسلام ﴿فإنما يهتدى لنفسه﴾(٢) أى منفعة الهداية راجعة إلى نفسه كإنقاذه من النار ودخوله الجنة، وإنما

(١) سورة الشورى : ٥٣.
(٢) سورة الإسراء : ١٥

بينت هذا البيان خشية أن يعترض، معترض والله الموفق إلى سواء السبيل.

ثم استدل السيد رضى الله تعالى عنه على قوله بهذه الجملة التى ذكرها حجة الإسلام الغزالى رضى الله تعالى عنه فى كتبه بقوله : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من عرف نفسه فقد عرف ربه). وسمعت عن مشايخى أنها حكمة لسيدنا على كرم الله تعالى وجهه ورضى الله تعالى عنه.

وسكت السيد عن إسنادها لعل ذلك لأجل الخلاف فيها، ومعناها واضح جلى يعنى أن معرفة النفس تؤدى إلى معرفة الله تعالى.

ثم استدل أيضًا بهذه الآية : ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم﴾(١) لأن الآية فى اللغة معناها العلامة الدالة على المؤثر، فجعل الله العلامات التى فى الكون من باهر الصنعة وعظيم الحكمة ودقة الإتقان تكشف وتبين عن صفات الخالق، وهى قسمان : حسية وهى الكونية والجثمانية، ومعنوية وهى النفسية.

والرؤية قسمان : بصرية وهى التى للمحسوسات، ومعنوية وهى التى للمعنويات.

ولما كان من أسمائه الظاهر والباطن جعل الآيات ظاهرة وباطنة كما جعل النعم ظاهرة وباطنة، قال تعالى : ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾(٢).

(١) سورة فصلت : ٥٣.
(٢) سورة لقمان : ٢٠

وقد أشار إلى ذلك كله مولانا الشريف بن إدريس رضى الله تعالى عنه بقوله : (وتجل لى يا إلهى بالتجلى الأعم الالهى الاحاطى الجامع للآفاق والأنفس سر قولك ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (١).

قولـه :

لا أهل المعرفة الخارجة ، فإنهم ليسوا ذائقين لهذا المعنى

قلـت : وذلك كالعوام ومن لم يسلكوا طريق القوم منهم كما ينبغى ، كما قالوا ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق .

وقد نسب شيخنا حبيب الله الشنقيطى رحمه الله تعالى هذا الكلام إلى الإمام أبى عبد الله مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، ومما يحضرنى من شرح الشيخ له أنه قال : وفسق الفقيه قسوة قلبه ، وحبه للدنيا الفانية والخوف من غير الله تعالى ، وكتمان الحق ، وجعل العلم وسيلة إلى الدنيا ، وذلك كله سببه عدم تصوفه ، انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

قال : [سيدنا ومولانا العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ صالح] الجعفرى [رضى الله تعالى عنه] : ومن مشايخى الذين أدركتهم ممن جمعوا بين العلم والتصوف شيخى العارف بالله تعالى السيد محمد

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

الشريف بن السيد عبد العالى بن السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنهم ، والشيخ محمد إبراهيم السمالوطى ، والشيخ محمد بخيت المطيعى ، والشيخ حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ على الشايب ، والشيخ حسن مدكور ، والشيخ عبد الرحمن عليش ، والشيخ محمد أبو القاسم الحجازى ، والسيد عبد الحى الكتابى ، والشيخ أبو الخير الميدانى شيخ علماء سوريا .

والسيد أحمد الشريف الغمارى ، والسيد عبد الله الشريف الغمارى والشيخ على أدهم المالكى السودانى ، والشيخ حسن مشاط من علماء مكة المكرمة ، والشيخ محمد الحلبى ، والسيد عبد الخالق الشبراوى ، والشيخ محمد عطية البقلى ، والشيخ مصطفى صفوت ، والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى ، والشيخ محمد العنانى شيخ السادة المالكية ، والشيخ عبد الحليم إبراهيم ، والشيخ أبو يوسف ، والشيخ الدليشنى ، والشيخ سلامة العزامى ، والشخ صادق العدوى ، والشيخ أحمد وديدى من بلدة رومى بالسودان ، والشيخ على محمد إمام وخطيب مسجد دنقلا ، والشيخ سيد حسن أفندى ، والشيخ على بن عوف والشيخ أحمد النجار ، المدرسان بمسجد دنقلا رحمهم الله تعالى وغيرهم من مشايخ الأزهر الشريف .

ومن مشايخى الصالحين الشيخ عبد الله عثمان التنبكتى رحمه الله تعالى .

وأما مشايخى فى الطريق والاسناد فقد ذكرتهم فى كتاب «المنتقى

النفيس) ومنهم السيد محمد إدريس المهدى السنوسى المتصل الإسناد بشيخنا الشريف بن إدريس رضى الله تعالى عنه .

وقوله :

فإنهم غير ذائقين لهذا المعنى

أشار السيد رضى الله تعالى عنه إلى المعنى الذوقى الذى يدرك بالذوق المتوقف على المعرفة ، وقد أشار إلى هذا المعنى السيد الغوث أبو مدين رضى الله تعالى عنه بقوله :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه

ومن دراه غدا بالروح يشريه

وقد يعبرون عنه بالخمر للدهشة العظيمة التى تحصل عند تذوقه قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه :

فدهشت بين جماله وجلاله

وغد لسان الحال عنى مخبرا

وهكذا يتكلمون بحالهم ومقالهم ، عند قربهم ووصالهم .

وقلت بفضل ربى تعالى :

فمنهم من يقول ولا يبالى

ومنهم تارك بعض المقال

ومنهم شاطح فى القول شطحا

ومنهم صامت ليلا وصبحا

ومنهم ساكن قمم الجبال

ومنهم مُنزو بين الموالى

ومنهم عالم يهدى الدرارى

ومنهم سره خوفًا يوارى

ومنهم بائح وله دلال

ومنهم عابد وله كمال

ومنهم من يكن بالليل زائر

كمثل السبع للأرواح زائر

ومنهم من يكن سهر الليالى

كمثل البدر مصحوب المعالى

ومنهم أحمد بن إدريس حقا

ترقى بالوصال فصار أرقى

ومنهم من يكن بالمدح هاما

كمثل الميرغنى نظر المقاما

فسارع نحوهم يا ابن الأفاضل

وسلم فى الطريق ولا تجادل

إلى الأحزاب فكر فى المعانى

وطهر يا موفق للأواني

عسى بالنور تحظى يا مريد

وبالتقوى يلين لك الحديد

وبالأحزاب تكشف للخفايا

وتنهل المواهب والعطايا

عسى بالنور تحظى من خفى

قريب منك ذى قدر على

هو ابن إدريس ها أنا ذا أقول

وشمس الوصل ليس لها أفول

فلا لأرواح مزج يا أخانا

بجمع الجمع أو فرق ترانا

إلى المرآة فانظر ما تراه

وهل أنت الذى فيها تراه

تحركه بلا مس ويحكى

فيضحك أن ضحكت كذا ويبكى

فما أنت الذى فيها ويأتى

بما تأتى به فى أى وقت

وهل أنت الذى أم أنت أنت

ومن قبل التشخص أين كنت

فلو علم المريد لكان يعلم

بحال الشيخ يا هذا ويفهم

فما غابت عن الأرواح عينى

وأين مقرنا أم أين أينى

تلاشت حالة الأشباح لما

ترقى الروح لما الفيض عما

ونفقه للغات ولا نغيب

عن المولى المهيمن والرقيب

به نبقى به ندرى الخفايا

طريقتنا بها خير المزايا

تجل فى تجل فى تجلى

عن الدنيا وما فيها فولى

شهود فى شهود فى شهود

مودتنا عن الرب الودود

ومن طلب الزخارف ما دراها

طريق الحق فاسلكها تراها

طريقتنا القريبة فى الوصال

بها بحر الجواهر واللآلى

بها ابن ادريس يزأر فى الليالى

كمثل السبع قد ملأ المجالى

بها ابن ادريس طيار كطير

ومن جاءوا اليه كأهل بدر

بها ابن ادريس سلطان ينادى

على الأبناء فى كل البلاد

هلموا أقبلوا نحوى تعالوا

فكم قوم لنا جاءوا فنالوا

فهو أسفى على أهل الطريق

إذا ناموا ولم يصلوا رحيقى

فما شرب المدامة ذو منام

ولم يدخل مع القوم الكرام

أأنت الحى فى الدنيا وتدرى

وذا قد مات ياجهلان قدرى

بل الاحياء أحياء الشهاده

وموت الحب عندهم شهاده

أشرت وقد أشرت وقد أشرت

لعل البعض يفقه ما قصدت

صلاة الله يتبعها سلام

على المختار ما نفع الكلام

كذا آل واصحاب تراهم

على حب الإله وقد سقاهم

طهورًا صافيا وقد ارتضاهم

عبادًا مخلصين وقد حباهم

عبيدك صالح يرجو رضاكا

ونورًا ساطعًا يرجو غناكا

وقد سأل الله تعالى الشريف ابن ادريس رضى الله تعالى عنه التجلى الأعم الجامع للأنفس والآفاق ليكون مظهرًا لاسميه تعالى: الظاهر والباطن، فيفاض عليه بالمعرفتين الظاهرة والباطنة، وعند ذلك لا يبقى

شيء فى الوجود إلا يعرفه حتى الجمادات ؛ لأن العارف من عرف الأشياء وعرفته ، عرفها أنها قامت بربها كما قال البوصيرى رحمه الله تعالى :

... ...

... و قامت بربها الأشياء

وذلك يدرك بالذوق ، ومعرفتها له تدرك بالإلهام الإلهى ، وقد نادت النخلة أبا مدين رضى الله تعالى عنه ، وقد خاطبت النملة سيدنا سليمان عليه السلام ، وقد أوبت الجبال مع سيدنا داود عليه السلام ، وقد أظهرت عصا سيدنا موسى عليه السلام العجائب .

الشيخ العارف
تخاطبه الأشجار والجمادات

وقد سمعت عن شيخى السيد محمد الشريف رضى الله تعالى عنه يقول : العارف بالله تعالى تخاطبه الأشجار والجمادات وتقول له : أنا خلقت لكذا وكذا من المنافع . فلا يلتفت إليها ويقول لها : لا أريد إلا وجه الله تعالى ، فإن التفت إليها واشتغل بمنافعها منع وقفل دونه الباب اهـ .

وحينما كان يتكلم بهذا الكلام رأيته يبكى وتتقاطر دموعه وهو فى هذا الحال إذ أقبل عليه رجل يسمى الشيخ عثمان عوض الله من

كابتوت فقال للسيد : مرحبًا يا أبا هاشم ، فقال له السيد : دعنى من كلامك هذا .

قال السيد ابن السنوسى رضى الله تعالى عنه لجدى السيد أحمد بن إدريس أمل على نسبك حتى أكتبه . فقال له : نسبى الكتاب والسنة . أنظر إلى فإن وجدتنى على الكتاب والسنة فقل : أحمد بن إدريس على الكتاب والسنة . وهذا نسبى ، يقول الله تبارك وتعالى **(اليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبى ألا وهو التقوى)** اهـ .

قال [سيدنا ومولانا خزينة الأنوار والاسرار الحسينية فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى [رضى الله تبارك وتعالى عنه ونفعنا بعلومه آمين] : وأما ما نسمعه من الناس من أن السيد أحمد رضى الله تعالى عنه قال : إن الزمان قد طال ... الخ . فالله أعلم به وما أحببت أن أكتبه لأنه يضر ضعفاء الإيمان ، والناس مؤتمنون على أنسابهم .

وما فى الحديث (اليوم أضع أنسابكم) فالمراد بها أنساب غير النبوة وغير المؤمنين فإنها مرفوعة ومتصلة ببعضها ، قال تعالى : ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء**﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ **ذرية بعضها من بعض**﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ **وكان أبوهما صالحا**﴾ (٣) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) سورة الطور : ٢١ .
(٢) سورة آل عمران : ٢٤ .
(٣) سورة الكهف : ٨٢ .

﴿حسين منى وأنا من حسين﴾ صححه الشيخ الزرقانى شارح الموطأ فى رسالة له لم تطبع، وقال صلى الله عليه وآله وسلم (**فاطمة بضعة منى من أغضبها فقد أغضبنى**) أخرجه الشيخان البخارى ومسلم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (**كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى**) ويدخل فى ذلك نسب الإسلام فإنه لا ينقطع.

وأما قوله تعالى: (**فلا أنساب بينهم**) [1] أى الكفار لاتنفعهم الأنساب قال تعالى: ﴿ **إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**﴾ [2].

وإنى أحمد الله تعالى على ما أطلعنى عليه، وأساله أن يوفقنى إلى الأدب مع أجدادى رضى الله تعالى عنهم، وأن يصل نسبى بهم، وكما جمع بينى وبينهم فى الدنيا أن يجمع بينى وبينهم فى الآخرة، إنه سميع الدعاء.

* * *

قال أبو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه:

﴿ فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر ﴾

قال الشريف العالم الفقيه المحدث مولانا السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه:

(١) سورة المؤمنون: ١٠١.
(٢) سورة هود: ٤٦.

البر من أسماء الله تعالى الحسنى أى فامزج الحق بالأشياء كلها فإن البحر هو الماء ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾[1].

وما فى الوجود إلا شىء حى، وفى الحديث (يشهد للمؤذن مدى صوته كل رطب ويابس)، وهل فى الوجود إلا رطب ويابس؟ وهل يشهد إلا عالم؟ وهل العلم يكون بغير حياة؟ فهو يقول: لا ترى الأشياء مجردة عن الحق بل اشهد الكون كله أسماء إلهية.

فإن الحق الذى عبر عنه بالبر من أسمائه الأول والآخر والظاهر والباطن، فلا يشهد حينئذ إلا إياه.

قال [سيدى وارث علم المصطفى الشارب من بحر الصفا والوفا فضيلة الشيخ] صالح الجعفرى غفر الله له ولوالديه آمين:

أيها المريد
الكون كله مظهرًا للأسماء الإلهية

البر من أسمائه تعالى، وهو كثير البر والخير والإحسان، قال الله تعالى حكاية عن أهل الجنة: (إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم)[2].

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.
(٢) سورة الطور: ٢٨.

قولـه :

فامـزج الحـق بالأشـياء كلـها

فسرها بقوله بعد (لا تـرى الأشياء مجردة عن الحق بل اشهد الكون أسماء الهية) ومعنى المـزج الخلط وهو كناية عن شـدة القرب، وليس مرادا ظاهره كما في اصطلاحات الصوفية لأنهم لا يريدون الظاهر.

قال ابن الفارض رضى الله تعالى عنه :

مـن لى بـإتـلاف روحـى فى هـوى رشأ

حلـو الشمـائل بـالأرواح ممتـزج

وفسر السيد هنا المزج بالمظهـرية، وهو أن تجعل الكون كله مظهرا لـلأسماء الإلهيـة، فإذا نظرت إلى الأحيـاء فهم مظهر لاسمـه المحيى والأمـوات مظهـر لاسمـه المميـت ،والغنى مظهـر لا سمـه المغنى، والخلق مظهر لاسمه الخالق، وهكذا ، وهذا معنى قول الصديق رضى الله تعالى عنـه : (ما رأيت أحـدا إلا ورأيت الله قبله) أى إلا وشـاهدت فعل الله تعالى فيـه وأثر قدرته قبل أن أشهده، واستشهـد الشيخ أحمد الصاوى المالكى رحمه الله تعالى بهذا البيت :

إذا مـــا رأيت الله فى الكـل فـــاعـــلا

رأيـت جميع العـــالمين مـــلاحـــا

وقـد تقـدم لك مثل هـذا الكـلام، وقـال تعـالى : ﴿والله خلقكم وماتعملون﴾(١).

واعلم ثم اعلم أن من اعتقد أن الله يتصل بشىء أو شىء يتصل به أو بصفاتـه كفر، فلا مـزج ولا اختلاط ولا اتصال ولا انفصـال، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وكل كلام الصوفية مؤول وليس على حقيقتة.

وقوله :

فـإن البحـر هـو المـاء

السيد رضى الله تعـالى عنه يضرب لك مثـلا عن الغائب بالمشـاهد وهو الماء، والغـائب عنك قدرة الله تعالى، وأنت حينما تشـاهد الحى تشاهد أن حياته متوقفة على الماء وأنه حى بسببها.

كذلك فى الغائب تشاهد بقلبك أن جميع المخلوقات متوقفة على قدرة الله تعالى، فلولا الله تعالى ما وجد شىء.

وقولـه :

وما فـى الوجود إلا شـىء حـى

أى فهو مظهـر لا سمه تعالى الحـى، وكون الأشياء تشهـد للمؤذن

(١) سـورة الصافات : ٩٦.

استدل به على مظهرين : الحياة والعلم ، لأنهما مظهران لا سميه تعالى المحيى والعالم .

ومن ذلك قول الشريف ابن إدريس رضى الله تعالى عنه فى أحزابه (وتجل لى يا إلهى بسر القيومية الإلهية التى قامت بها شيئيات الأشياء كلها) المراد من هذا هو ما قاله (لا ترى الأشياء مجردة عن الحق) .

وقال رضى الله تعالى عنه فى أحزابه (وتجل لى يا إلهى بالعظمة الجامعة لمعانى الأسماء الإلهية التى هى مجمع بحور حقائق الأسماء كلها فأتحقق بحقيقة الحقائق الأسمائية ، جامعا حقيقة كل اسم إلهى بشريعته ، قائما بحقيقته فى سماوات روحى ، وبشريعته فى أرض جسمى ، فتكون آيتى من كتاب الله عز وجل من حيث تجليات الألوهية ﴿**وهو الله فى السموٰات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون**﴾ [1] حتى أكون كلى وجوها ناظرة ، كل وجه إلى اسم على سنة شرائع التجلى فى الحقائق ...) إلخ .

هذا كله معناه (فانضح البر بالبحر) كما فسره السيد رضى الله تعالى عنه وقوله : (جامعا حقيقة كل اسم إلهى بشريعته قائما بحقيقته فى سموٰات روحى وبشريعته فى أرض جسمى) إشارة إلى المظهرين للاسم الإلهى من جانب الحقيقة ومن جانب الشريعة ، فمن حكم عليه بالرجم شرعا فهو محكوم عليه من جهة الحقيقة بالقضاء والقدر ،

(١) سورة الأنعام : ٣ .

وذلك معلوم فى سماء الروح ، ومحكوم عليه بالشرع ، وذلك معلوم لأرض الجسم بواسطة السماع من الشرع .

فمن وقف مع الحقيقة عطل الأحكام ، ومن وقف مع الشريعة أنكر القضاء ، والحق أن يكون مع الاثنين ، ولذلك قال السيد رضى الله تعالى عنه (حتى لا ينبغى لشمس حقيقتى أن تدرك قمر شريعتى فيقع خسوف التخليط) .

وعن الإمام مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال : ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق . قال الشيخ حبيب الله الشنقيطى : معناه أن العابد الجاهل يكشف له عن أن الله تعالى الخالق لكل شىء ، وكل شىء بقضائه وقدره ، فيعطل الشريعة ويتزندق ، نعوذ بالله من ذلك اهـ .

والمراد بسماوات الروح منازل النفس السبعة ، فالروح تسبح فى سموٰاتها السبع ، وفى كل سماء لها وصف وحال ، وأرض الجسم : هو الجسد المخلوق من التراب فهو مظهر لآثار الروح الطيبة والنفس الخبيثة ، فالأرض يخرج منها طيب المأكولات والمشمومات كالبرتقال والورد ، ويخرج منها المر وردىء الرائحة كالحنظل ، ولما كان الجسد باعتبار مظاهر الروح يشبه الأرض سمى أرضا ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح**﴾ [1] فالسماء الأولى للنفس تشغل الروح لأنها سماء الزينة والنفس فيها أمارة .

(١) سورة الملك : ٥ .

وقوله :

فلا يشـــهد حينئـــذ إلا إيـــاه

أى إلا آثار أفعاله وصفاته سبحانه وتعالى ، كما قال رضى الله تعالى عنـــه فى أحـزابـــه : (حتى لا أرى فىَّ وفى كـل شىء وفى لا شىء إلا إياك) .

* * *

قال الشريف رضى الله تعالى عنه :

وهـذا بعض الكـلام عليهـا والله تعـالى المـوفق الفتـاح لـلأبـواب المدخل من وقف بالباب ، الـرافع له الحجاب ، وصلى الله على مولاى محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

نقل ذلك من رسالة للعارف بالله الشيخ إسماعيل النواب فى مدرسة السليمانية فى الحـرم الشريف فى ٢٧ شوال سنة ١٣١٠ علـى يد أفقر العباد محمد أمين الحصنى .

* * *

قال عبـد ربه راجى رحمته ومغفرتـه [سيدنا ومولانـا فضيلة الشيخ] صالح بن محمد بن صالح الجعفرى :

وكان الفـراغ من هذا الشرح المبـارك بعد صـلاة الصبح يوم السبت

(١) سـورة المالك : ٥ .

الموافق ٧ ذو القعدة سنـة ١٣٨٣ هـ بالجامع الأزهـر الشريف ، وذلك بعد صـلاتى بالجماعـة صلاة الصبح ، أسأل الله تعـالى أن ينفع به كل من قرأه أو سمعه إنه سميع عليم قريب مجيب .

وصلى الله على مولاى محمد وعلى آله فـى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ، ورضى الله تعـالى عن الصحابـة أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين وعلينا معهم برحمتك ياأرحم الراحمين .

خطاب السيد أحمد بن إدريس
للشيخ مكى

وهذا الخطاب الذى أرسله السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه إلى تلميذه الشيخ مكى .

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن إدريس إلى أخيه وحبيبه المكرم الشيخ مكى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد: وصل كتابكم فالحمد لله على سلامتكم وعافيتكم، وقد كتبنا إليكم عظة على حسب ما خطر فى القلب . الله تعالى ينفعكم بها والمسلمين آمين .

اعلم يا أخى أنك لا تحتاج إلى تبصير فى أهل زمانك، فالحذر من الذين ينتسبون إلى العلم ولا يعملون به، واتخذوا العلم تجارة دنيوية، ولم يقرأوه لوجه الله، ولم ينفعهم الله به، فهم يأكلون الحرام ويلبسون الحرام فأعمى الله بصائرهم، فلم ينتفعوا من العلم بشىء، بل ضرهم علمهم غاية الضرر، فباعوا دينهم بدنياهم .

وقد تبرأت الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم من أخذ الأجر على العلم الذى أمرهم الله أن يبلغوه للخلق، فكل واحد منهم يقول ﴿**وما أسالكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين**﴾ (١) والعلماء

(١) سورة الشعراء : ١٠٩ .

ورثة الأنبياء، فحاد هؤلاء المنتسبون إلى العلم فى هذا عن طريق الأنبياء فخسروا الدنيا والآخرة . فنسأل الله تعالى أن يرجع بنا وبهم إلى طريق الهدى، وأن يسلك بنا وبهم سبيل الرشاد إنه قريب مجيب .

وأوصى نفسى وإياك بتقوى الله العظيم، فإن التقوى خير زاد إلى الآخرة، قال الله تعالى : ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**(١)﴾ .

وعليك يا أخى بتقوى الله العظيم، فإن التقوى مفتاح العلم، قال الله تعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم**(٢)﴾

وعليك يا أخى بالتقوى، فإن التقوى مفتاح الفلاح، قال تعالى ﴿**واتقوا الله لعلكم تفلحون**(٣)﴾ .

وعليك يا أخى بالتقوى، فإنها وصية الله للذين خلوا من قبلكم فى الأولين والآخرين، قال الله تعالى : ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله**(٤)﴾ .

وعليك يا أخى بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح الولاية، قال الله تعالى : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون* الذين آمنوا وكانوا يتقون**(٥)﴾ .

وعليك يا أخى بالتقوى، فإن التقوى مفتاح النجاة فى الدنيا والآخرة

(١) البقرة / ١٩٧ .
(٢) البقرة / ٢٨٢ .
(٣) البقرة / ١٨٩ .
(٤) النساء / ١٣١ .
(٥) يونس / ٦٢، ٦٣ .

قال الله تعالى : ﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون[1] ﴾ .

وعليك يا أخى بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح الكرامة ، قال الله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم[2] ﴾ .

وعليك يا أخى بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح المخرج من كل ضيق ومفتاح الرزق من حيث لا يحتسب ، قال الله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب[3] ﴾ .

وعليك يا أخى بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح اليسر ، قال الله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا[4] ﴾ .

وعليك يا أخى بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح تكفير السيئات وتعظيم الأجر ، قال الله تعالى ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا[5] ﴾ .

وعليك يا أخى بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح القبول ، قال الله تعالى : ﴿إنما يتقبل الله من المتقين[6] ﴾

وعليك يا أخى بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح الفرقان والمغفرة ، قال الله تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم[7] ﴾ .

---

(١) الزمر/ ٦١ .
(٢) الحجرات/ ١٣ .
(٣) الطلاق/ ٢ ، ٣ .
(٤) الطلاق/ ٤ .
(٥) الطلاق/ ٥ .
(٦) المائدة/ ٢٧ .
(٧) الأنفال / ٢٩ .

وعليك يا أخى بالتقوى ، فإن التقوى مفتاح معية الله مع العبد ، قال الله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[1] ﴾ .

جعلنى الله وإياك من المتقين الذين أقبلوا على الله تعالى بكليتهم فلم يشغلهم عن الله شاغل ظاهرا وباطنا فتولاهم الله بعنايته فخلصت محبتهم لله من جميع الوجوه فصاروا إذا قاموا فى أمر قاموا فيه بالله ولله وإذا قعدوا عن أمر قعدوا عنه بالله ، ولله . فصارت حركاتهم وسكناتهم بالله ولله فى كل شىء .

وعود لسانك ذكر الله تعالى حتى يستولى ذلك على القلب ، فتكون من الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض .

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياك حلاوة الإيمان الكامل الذى يكون القلب معه خاشعا لله تعالى على كل حال وأوان ، وأن يرزقنا وإياك الشوق إلى لقائه تعالى فى كل نفس من الأنفاس إنه تعالى سميع الدعاء .

والسلام عليكم وعلى جميع من لديكم ومن يلوذ بكم ورحمة الله وبركاته .

تم الكتاب بفضل الله تعالى وببركة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) النحل/ ١٢٨

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحة
كلمة دار جوامع الكلم	أ
تقديم	جـ
كلمة مؤلف الكتاب	٣
توضـأ بماء الغـيب	٤
التجلى الإلهى	٥
تجلى الحق فى الماء ليس كتجليه للجبل	٥
تجلى الحق على عبادة الصالحين	٦
ظهور أثر التجلى على الاشباح	١٢
فناء الاغيار يورث الأنوار	١٥
تجلى الحق على الماء وعلى الروح	١٩
حال أهل التجريد مع رب العبيد	٢٥
الغيب وأنواعه	٢٧
حكم ونفحات وأنوار جعفرية	٣١

الموضـوع	الصفحة
إن كنـــت ذا ســـر	٣٣
حكم جعفرية	٤٢
الطهارة الكبرى هى خلع صفات النفس وإثبات	
صفات الروح	٤٣
انتبه أيها المريد	٤٨
نور الوجـود	٥٩
وإلا تيمـم بالصعـيد	٦١
لا وصول إلى غيب مع ارتكاب الذنب والعيب	٦٣
أيها المريد أطلق لفرسك ألعنان	٦٥
عباد الله هلموا إلى طريقنا	٦٨
وبالصـــخر	٦٩
أيها المريد جاهد تشاهد	٧١
أيهـا المريـد ليس لنا من معـول إلا على الواحـد	
الأحد	٧٣

الموضـــوع	الصفحة
وقـدم إمامًا كنت أنـت أمامـه	٨٣
أقبلوا علينا عـباد الله	١٠٠
وصـل صـلاة الفجـر	١١٠
تنوع أسرار الله فى ملكه	١٢١
تجلى الجلال	١٢٧
الروح مثل الجسـد فى الصـورة	١٢٨
أيها المريد بابنا باب الله	١٣٠
فى أول العصـر	١٣٢
فهذى صـلاة العارفـين بربهـم	١٤١
الشيخ العارف تخاطبه الأشجار والجمادات	١٥٢
فإن كنت منهم فانضح البر بالبحـر	١٥٤
أيهـا المريد الكون كله مظهرًا للاسماء الالهيـة	١٥٥
خطـاب السـيد أحمد للشيخ مكى	١٦٢
الفهـرس	١٦٦